ثقافات الشعوب

@ketab_n
Follow Me
24.11.2017

@ketab_n
Follow Me

الفارس الملعون
حكايات شعبية من اسكتلندا

جمع: جورج دوغلاس
ترجمة: ريما الجباعي

الفارس الملعون

حكايات شعبية من اسكتلندا

جمع:
جورج دوغلاس

ترجمة:
ريما الجباعي

كلمة
KALIMA

أبوظبي للثقافة والتراث
ABU DHABI CULTURE & HERITAGE

Twitter: @ketab_n

الفارس الملعون

حكايات شعبية من اسكتلندا

Twitter: @ketab_n

© هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، المجمع الثقافي
فهرسة دار الكتب الوطنية أثناء النشر

الفارس الملعون: حكايات شعبية من اسكتلندا

© حقوق الطبع محفوظة
هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (كلمة)
الطبعة الأولى 1431 هـ 2010 م

GR144.S36512 2010
Douglas, George Brisbane, Sir, bart, 1856 - 1935.
[Scottish Fairy and Folk Tales]

الفارس الملعون: حكايات شعبية من اسكتلندا/ جمع جورج دوغلاس؛ ترجمة ريما الجباعي.
- ط.1.- أبوظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، كلمة، 2010.
192ص؛ 19x12.5 سم. (سلسلة ثقافات الشعوب).
تدمك: 978-9948-01-349-5
ترجمة كتاب: Scottish Fairy and Folk Tales
1 - القصص الشعبية الاسكتلندية. 2 - الحكايات الاسكتلندية. أ- جباعي، ريما.
ب- العنوان.

مراجعة وتحرير: سامر أبو هواش
إخراج وتصميم: أحمد عبد الله النتان

info@kalima.ae
www.kalima.ae
كلمة KALIMA

ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 468 6314 2 971+ ،
فاكس: 462 6314 2 971+

www.adach.ae
هيئة أبوظبي للثقافة والتراث ABU DHABI CULTURE & HERITAGE
ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 300 6215 2 971+ ،
فاكس: 059 6336 2 971+

إن هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (كلمة) غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره وإنما تعبّر آراء الكتاب عن مؤلفها.

حقوق الترجمة العربية محفوظة لكلمة
يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أي وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن خطي من الناشر.

Twitter: @ketab_n

المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
تقديم	9
البراوني، البعبع، الكالبي، الحوريّون والعفاريت	22
البراوني الاسكتلندي	23
براوني بوديسبيك	25
البراوني والخادمتان المختلستان	27
البعبع	29
الفارس الملعون	31
غراهام مورفي	35
الصياد وحورية الماء	37
الحورية الزوجة	41
مغامرة صائد الفقمات	44
حورية نوكدولين	49
لورد لورنتي الشاب	50
المسخ ناكلافي	52
الراعيان	57
فات ليبس (ذو الشفتين الغليظتين)	60
الخروف الأحمق	62
السحر والعرافة	78
حكاية ماكغيليشالوم من رازاي	79
ساحرة لاغان	83

Twitter: @ketab_n

زوجة حدّاد ياروفوت 91
طحّان هولدين 95
رونالدسن بودين 97
زوجة المزارع من ديلوراين 98
اللورد هاري جيليس 101
الشبكة المفقودة 103
ساحرات ديلانبو 106
الحذاء النحاسيّ 113
حكايات هزلية 144
حكاية الغلام المخادع – ابن الارملة 145
توم لوثيان 167
نوادر مهرج البلاط السيد جورج بوكانن 181

Twitter: @ketab_n

هذه السلسلة

تأتي هذه السلسلة التي تجمع تراث الشعوب من الحكايات والأساطير والخرافات الشعبية، منسجمة مع الأهداف والقيم التي اختطتها لنفسها مبادرة «كلمة» منذ البداية، كمشروع رائد للترجمة في العالم العربي. تلك القيم والأهداف التي تسعى أبوظبي إلى تجسيدها، لتشيع ثقافة التسامح والحوار، وبناء جسور التواصل بين شعوب الأرض وحضاراتها، وتعزيز العمق الثقافي الجامع بين مختلف الأعراق والجنسيات والثقافات، وجمعها تحت سقف واحد، هو سقف الثقافة والمعرفة والكلمة التي تجمع ولا تفرّق.

وليست حكايات الشعوب هذه، التي تقدّم للمرة الأولى لقرّاء العربية بمثل هذه الشمولية والكثافة والاتساع، إلا ترسيخاً لهذا المشترك الإنساني الجامع. وكأن ما اصطلحت البشرية على تسميته «عولمة» منذ عقدين من الزمان أو نيّف، كان متحقّقاً بالفعل منذ مئات بل آلاف السنين، عبر حكايات نجدها تتنقّل بحرية من أرض إلى أرض، ومن لسان إلى آخر، إذ تطرأ عليها تعديلات هنا أو هناك، لتناسب ثقافة هذا الشعب أو ذائقة تلك الأمة، أو ظروف تلك الجماعة. وفي بعض الأحيان نجد الحكاية نفسها – مع تغيير في أسماء الناس والأمكنة – تروى في أقاصي الشرق، على نحو ما تروى في

Twitter: @ketab_n

أقاصي الغرب، أو شمال الأرض أو جنوبها. فإذا كانت الحكايات تتمتع بميزة أساسية فهي قدرتها على اختراق الحدود الجغرافية والعرقية والنفسية والسياسية والدينية واللغوية، لتولد في كل مرة، وعند كل قوم من الأقوام، بصورة خاصة وفريدة، تشير إلى خصوصية الذات.

وهكذا، تبقى الحكايات سرّ هذه الأرض الواحدة، نبتتها أو لنقل زهرتها الفريدة، التي نبتت من تربتها الخصبة الواحدة، ونمت تحت سمائها الشاسعة الواحدة، لتجوب آفاق الدنيا، مبدّلة ربما أثوابها وألوانها، ولكن محتفظة دوماً بجوهرها الإنساني الفسيح والعميق.

وإننا إذ نقدّم هذه الحكايات، زهرات الأرض الفريدة هذه، في باقة واحدة ثرية الأجناس والألوان، فإيماناً منا بأننا على اختلاف ثقافاتنا وحضاراتنا، أبناء هذه الأرض الواحدة، وبأن ما ترويه جدّة ما لأحفادها في أصقاع القطب الجنوبي، من حكايات تؤكد قيم الخير والحب والعدالة والسلام، ترويه – وإن بلغة أخرى – جدة أخرى في أصقاع أخرى من الأرض، وهذا ما يجعل الحكايات الشعبية ميراثاً أصلياً للبشرية جمعاء، بقدر ما هي ملك أصلي لكلّ شعب من الشعوب وثقافة من الثقافات.

د. علي بن تميم

مدير مشروع «كلمة» للترجمة

Twitter: @ketab_n

تقديم[1]

في السنوات الأخيرة ومنذ فترة قصيرة نسبياً، أصبحت الحكايات الشعبية المتواردة على ألسنة الريفيين تشكل فرعاً من فروع العلوم الإنسانية، وأخضعت إلى مناهج البحث والاصطلاح العلميين. ولا شك في أن هذه المناهج جعلت الحكايات تقدم كسباً مهماً للمعرفة، إذ أفرد لها قسم خاص في برامج البحوث سُلط الضوء على الكثير من العناصر والعوامل الخارجية المحيطة بها، والتي غدت تعتبر أكثر أهمية من تلك الحكايات نفسها موضوع البحث. لكن وبالتوازي مع هذا الكسب الذي قدّمته الحكايات الشعبية للمعرفة الإنسانية، ألم يؤثر تطبيق مناهج البحث هذا سلباً عليها؟ أولم تفقد هذه الحكايات شيئاً من روحها؟

(1) ألقيت مادة هذه المقدمة كمحاضرة في معهد رويال في 29 يناير 1892 (المؤلف). ونقدّم في هذه الترجمة العربية ملخصاً عنها بسبب شدة طولها (م).

Twitter: @ketab_n

ما أعنيه أنه وخلال تطبيق مناهج البحث العلمي في دراسة هذه القصص قد تم تصنيفها وجدولتها وإطلاق أسماء علمية عليها، فلم تعد نتاجاً حراً للطبيعة. وبالنتيجة، فقدت طبيعتها التي تميّزت بها والتي أحببناها بسببها، وأصبحت تشبه مجموعة من الفراشات الملونة في ألبوم للورود المجففة. فبالرغم من أنها لا تزال ممتعة، وذات قيمة تعليمية، لكنها فقدت شاعريتها وبريقها، والعطر الذي كانت تنشره حولها في سمائها الفطرية وأرضها البكر، كما فقدت روحها.

إذن، ورغم تقديري الكبير لكافة الجهود المبذولة من قبل دارسي الفلكلور وعلماء الأساطير المقارنة، أليس هناك إمكانية حتى في الوقت الحالي، لدراسة هذه الحكايات من وجهة نظر مختلفة؟

وجهة نظر هي الأبسط والأوضح، وأعني بها شفافية الراوي وبساطته.

آمل ألا نكون قد وصلنا إلى وقت بدأت تفقد فيه هذه الحكايات القديمة ميزاتها وقدرتها على إمتاعنا وإدهاشنا. وعلينا أن نعترف أن هناك بعض الأشخاص بيننا ما زالوا يعتقدون

Twitter: @ketab_n

أن هذه الحكايات قصصاً حقيقية، وسوف يعتبرونها خسارة شخصية كبيرة لهم، عندما يجدون أنفسهم مضطرين إلى الاقتناع بأن بطل طفولتهم المثالي والذي قام بالكثير من المآثر البطولية، وخاض معارك دامية ونزف حتى الموت، لا يعدو كونه خرافة من بنات الخيال، وأنه مجرد استعارة أدبية لتجسيد فكرة الغروب. وسوف يشعر هؤلاء الأشخاص الذين صدّقوا هذه الحكايات بالحيف حين يكون عليهم أن يدركوا أن البعبع الذي عرفوه في طفولتهم والذي اعتقدوه بعبعهم الخاص ليس حكراً عليهم بل هو نفسه البعبع الشائع عند سكان بولنيسيا[1] الأصليين، فالارتباط بشخصية ما في الطفولة يكون كبيراً جداً. ولهذا أقترح أن نتناول حكايات الفلاحين الاسكتلنديين ببساطة من وجهة نظر الأشخاص الذين رووا القصص وأولئك الذين رويت لهم في الواقع.

أفترض أن كل أمة قد مارست فن القصّ، أو سرد القصص في الطور البدائي من حياتها، والاسكتلنديون ليسوا استثناءً. فقبل ثلاثين عاماً كتب كامبل إيزلا، ما يثبت أن رواية القصص في أيامه كانت لا تزال قائمة في جزر «بارا» الغربية المنعزلة، حيث

(1) البولينسيا الفرنسية هي مجموعة جزر ماوراء البحار تابعة لفرنسا تقع في جنوب المحيط الهادي (م).

Twitter: @ketab_n

كان يجتمع حشد من الناس في ليالي الشتاء الطويلة للإصغاء إلى أولئك الذين كانوا يعتبرونهم أساس الفن في وقت مضى— ولكن ما زال ضمن الذاكرة الحية— فقد استمر سرد الحكايات في بولوي[1] في روس شاير[2] حيث اعتاد الصغار أن يجتمعوا كل ليلة ليستمعوا إلى المسنين، وهم يقصون عليهم الحكايات التي سمعوها من أجدادهم. وفي مناطق أخرى من البلاد أيضاً، كانت الحاجة إلى القصص تلبّى من قبل الباعة المتجولين أو من قبل المتسولين، أو الموسيقيين المغنين الجوالين، أو الخياطين والإسكافيين الجوالين، الذين كانوا يسمون «ويب ذي كات» «Whip-the-Cat»[3] —فقد كانوا يتنقلون بين المقاطعات الأقل كثافة سكانية في البلاد لممارسة مهنهم، ويُستضافون في بيوت المزارعين. وبينما يجدلون خيوطهم، كانوا يروون القصص لتسلية جلسائهم .

وكان يعتبر وصول أحد رواة القصص أولئك إلى إحدى القرى حدثاً مهماً. وحالما يشيع خبر وصوله، يسارع الناس إلى البيت الذي حلّ به، ويحتلون كل المقاعد المتوافرة، على الدكة

(1) قرية تقع في شمال غرب مدينة إنفرنيس في شمال اسكتلندا (م).
(2) الشاير هي المقاطعة أو الإقليم ومقاطعة روس هي من مقاطعات اسكتلندا القديمة (م).
(3) لقب عرف به قديماً الباعة الجوالون (م).

Twitter: @ketab_n

والطاولة والسرير والعوارض الخشبية، أو حتى على الأرض، وكممثل من الدرجة الأولى يبدأ الراوي بالقصّ، ويحبس أنفاس مستمعيه لساعات وكأنهم مسحورون. وبالمناسبة هناك العديد من أولئك المستمعين كانوا يصدقون بشكل قاطع كل ما يروى من الخوارق والعجائب. وخلال سرد القصة، كانت عواطف الراوي ومستمعيه تبلغ أقصاها، إذ يتفاعل المستمعون والراوي مع الحكاية، حتى يكاد الدمع أن يطفر من عيونه أحياناً، وفي أحيان أخرى ينفجرون في ضحك صاخب. وهناك العديد من هؤلاء المستمعين الذين يعتقدون بصحة ما يُروى على مسامعهم[1].

ولا شكّ في أن مثل هذه المشاهد المسرحية الريفية -والتي آمل أني سأعرضها في مجموعتي هذه- تركت بصماتها على الأدب الاسكتلندي.

خلال جولته في الجزر زار كامبل إيزلا أحد رواة القصص القدماء في بيته. كان الرجل طاعناً في السن ويعيش في كوخ بسيط على شاطئ ساوث أو يست[2]. قدم كامبل وصفاً تفصيلياً لبيت الرجل. فالكوخ مؤلف من غرفة واحدة، موقدها الأرض ومدخنتها فتحة في السقف فوق الموقد. ولهذا فالدخان يملأ

(1) يذكر هذا كثيراً بنموذج الحكواتي في التقاليد العربية (م).
(2) جزيرة في غرب اسكتلندا (م).

Twitter: @ketab_n

الغرفة، والسخام يرسم أشكالاً على السقف. أما المسنّ فاتضح أنه حكواتي بارع، حيث أنه قد يضحك خلال سرد مقاطع محددة من القصة، وكما يفعل الراوي في قصة البحار القديم أو كواحدة من الشقيقات الثلاث[1] فإنه يضع إصبعه على ركبة المستمع حين يصل إلى مواضع مخيفة من الحكاية. وكان هناك طفل صغير يرتدي كلتية[2] يجلس على ركبتيه محدقاً بوجه الرجل المتغضن ملتهماً كل كلمة يتفوه بها. وقبيل أن تشارف القصة على نهايتها، دلف إلى كوخه ثلاثة من عابري السبيل وأخذوا يصغون لبعض الوقت، ثم مضوا في سبيلهم. كان ضوء النهار يتسلل من المدخنة فيضيء بقعة من الدخان الأزرق الذي يملأ الهواء، ثم يسقط على شعر الحكواتي الشائب، وعلى قسمات وجهه الحنطي المليء بالتجاعيد وهو جالس على مقعده الواطئ قرب النار، ثم ينير باقي الغرفة وأثاثها من الصناديق والسرير المصنوع منها، والخزانة والأطباق وشتى الأغراض، ثم يبهت الضوء مخلّفاً ظلالاً بنية داكنة على السقف المسودّ، وعلى الزاوية حيث يخزّن الرجل الخثّ وفحم الموقد.

لننتقل الآن من الراوي إلى القصص.

---

(1) أو الساحرات الثلاث، شخصيات ظهرت للمرة الأولى في مسرحية شكسبير ماكبث (م).
(2) – الكِلْتِيّة وهي تنّورة رجالية اسكتلندية (م).

Twitter: @ketab_n

من أبرز ما يميز قصص مرتفعات (هاي لاند) اسكتلندا[1] - التي لابد أن نعترف بأنها أحياناً مضجرة تتكرر فيها الحوارات نفسها ويعاد إنتاج الموقف نفسه مراراً—هو الحكايات التي تتحدث عن الأبطال والعمالقة. ومن جهة أخرى فإن النوع الأقصر من الحكايات الشعبية يتحدث عن الحيوانات البكماء - ليست بكماء على الإطلاق، على الأقل في القصص. والجبال غنية بهذه الحكايات، ويسهل أن نفهم كيف عاش الريفيون بشكل عام (بحكم قربهم من الطبيعة) فقد تميزوا بالفراسة والنباهة ونفاذ البصيرة ولهذا فقد قدروا الكثير من خصائص البهائم كما أنهم تعاطفوا مع الحيوانات في صراعها من أجل البقاء. هذه الصفات التي قد يفتقر إليها أولئك الذين عاشوا حياة متكلفة في بيئة اصطناعية. لذا فإن بعضاً من هذه الحكايات الخرافية التي تناولت ميزات الحياة الحيوانية التي جسدت تلك المعرفة، وقدّرتها وتعاطفت معها، قد صيغت بطريقة ساذجة وطريفة عمداً، وليس لافتقار مؤلفيها إلى الحذلقة والأساليب الإنسانية المتكلفة.

أما المجموعة التالية من الحكايات التي سنتناولها، ففيها درجة أكبر من الخيال. ويجب ألا يعتبر هذا الخيال إلا كجزء

(1) Highlands: اسم يطلق على المناطق الجبلية الوعرة في اسكتلندا (م).

Twitter: @ketab_n

من الخصائص التي تتصف بها عقول العديد من الفلاحين الاسكتلنديين. تنعكس هذه الصفات بأبسط صيغها ربما، من خلال التسميات التي أطلقوها سواء على الظواهر الطبيعية أو على الأمكنة. وتحمل هذه الأسماء صفات الطبيعة المدهشة. ففي المرتفعات –هاي لاند– مثلاً، فإن الأسماء الغيلية[1] غالباً ما تكون مدروسة بعناية وإتقان. أما إذا انتقلنا إلى الأراضي المنخفضة– لولاند– فإننا نجد في تلال سيلكيرك شاير[2]، أن شلال الماء الذي يتدفق غزيراً وداكناً فوق المنحدرات ويندفع إلى الأسفل مغطياً الصخور بالزبد، قد أطلق عليه اسم «ذا غريه ماريس تيل» والتي تعني ذيل الفرس الأشهب. أما الهضبتان التوأمان في روكسبيرغ شاير واللتان تتميزان بقمتيهما المدوّرتين والمتطابقتين بشكل جميل مدهش فقد تعمدتا باسم ميدين بابس[3]. ثم هناك الغيوم الشبيهة بالصوف المعروفة عند الريفيين البسطاء باسم «غوتز هير» أي شعر الماعز، وتعرف ظاهرة الشفق القطبي الشمالي بين صيادي السمك في شيتلاند باسم «ميري دانسرز» أي الراقصات المرحات. وتحمل نجوم الثريا اسم «المتلألئات»، أما كوكبة الجوزاء بنجمتها الصغيرة أيوتا المتدلية كأنما من طوق امرأة

(1) نسبة إلى اللغة الغيلية وهي لغة سلتية قديمة (م).
(2) مقاطعة سيلكيرك (م).
(3) سميتا كذلك بسبب شبههما بنهدي المرأة (م).

Twitter: @ketab_n

فتعرف باسم «ذراع الملك» أو «مقياس الياردة». أما الرغوة التي تلتصق بسويقات النباتات التي تنمو في منتصف الصيف فتعرف باسم بصاق الساحرة.

أعتقد أن هناك مسحة شاعرية في هذه القابلية على إطلاق الأسماء، وفي الحقيقة ففي منخفضات اسكتلندا -لولاند- فالشعراء الريفيون هم ظاهرة شائعة تماماً. ولا يفتقر الفلاحون في نزعتهم هذه إلى إطلاق الأسماء إلى الرمزية الأدبية، حيث الرمزية التي يعرفونها هي تلك الموجودة في الكتاب الوحيد الذي اكتسب انتشاراً دائماً وكونياً بينهم (الكتاب المقدس). فعلى سبيل المثال فإن العلامة السوداء تحت خياشيم سمك الحندوق معروفة بين صيادي الساحل الشرقي بإبهام بطرس. بينما النبتة الفظة التي غالباً ما تتواجد في حقول الذرة وتتميز بأوراقها ذات الألوان الغريبة وكأنها مطلية بالروث والتي أحسب أن علماء النبات يسمونها «بوليغونام بيرسيكاريا» معروفة محلياً في المناطق الحدودية بأنها: «الزهرة التي تنمو أسفل الصليب».

ربما كان المفكرون الأعمق، بين ظهراني شعب له فلاسفته وحالموه، هم رعاة الجبال. وعبر أحد أولئك الرعاة استطعنا اليوم بلا شك أن ندخل إلى عالم الخيال، وإلى أرض الخرافات. وقد

Twitter: @ketab_n

كان جيمس هوغ أحد رعاة وادي «إيترك» واحداً من أولئك الرجال العباقرة، وربما كان أكثرهم عبقرية، والذي أغنى تاريخ الأدب بالأفكار المتخيلة والحكايات، حتى أصبح صيغة ملاصقة للأدب. لم يكن هناك في تاريخ الأدب من يضاهيه في قصص الخيال غير المألوفة. لا أحد البتة، ما عدا شكسبير – ولا حتى دريتون – كتب حكايات خرافية أفضل مما كتبه هوغ.

ولد هوغ في آركاديا اسكتلندا عام 1770 في غابات إيترك حيث – كما أخبرنا سكوت[1]– ساد الاعتقاد بالخرافات والجن أكثر من أي منطقة أخرى. فمنذ يفاعته هاجت في صدره روح المنافسة متأثراً بالشاعر بيرنز[2]. وهكذا، في أثناء رعيه الماشية في الجبال المنعزلة، علق في عنقه قرناً من حبر، وعلّم نفسه الكتابة، ثم خطّ أول قصيدة له على الورق. بما أنه كان كثير التجوال والتأمل، يحكى أنه نام ذات يوم الأيام على سفح هضبة خضراء ليحلم بكيلمني[3] ولتبقى صورتها محفورة في قلبه إلى الأبد.

أما قصة كيلمني فهي قصة فتاة ذات طبيعة شاعرية تحب الوحدة. وذات شفق كانت تتجول وحيدة ثم اختفت فجأة في

(1) والتر سكوت (1771–1832): مؤرخ وشاعر وكاتب اسكتلندي (م).
(2) روبرت بيرنز (1759–1796): شاعر اسكتلندي معروف (م).
(3) امرأة متخيلة (م)

Twitter: @ketab_n

واد منعزل، ولم يجد بحث أصدقائها الطويل في العثور على أثر لها، حتى فقدوا الأمل أخيراً.

ومرت السنوات وبقي سر اختفائها لغزاً محيراً. وفي الشفق ذاته وفي الساعة نفسها التي اختفت فيها قبل سبع سنوات، عادت كيلمني إلى بيتها. كانت قد قد اختطفتها الجنيات وعاشت معهن كل ذلك الوقت. ولكن حتى في أرض الخيال ظل قلبها يتوق إلى وطنها، وبعد مرور سبع سنوات فقدت الجنيات القدرة على احتجازها رغماً عن إرادتها، وكان عليها أن تختار، فاختارت ترك الحياة السعيدة التي عاشتها بينهن والعودة إلى الأرض.

هذا محور القصة بشكل عام، ولكن القصة بحد ذاتها هي الجزء الأقل قيمة في قصيدة هوغ، إذ يكمن سحر القصيدة في انسيابها المتقن ونظمها الموسيقي وهي تصف عالم السحر والظلال «في أرض ينسى فيها كل شيء» وفي رقة كلماتها الحزينة وجمال أسلوبها المتناسب تماماً مع موضوعها.

إن لمسات الخيال في شعر راعي إيترك لساحرة بالفعل، إلى درجة تغرينا بأن نتوهم بأن التجربة التي تمنحها التقاليد لتوماس الناظم[1]، قد شاركه فيها من جاؤوا بعده.

(1) أو توماس الشاعر: شاعر ومتنبئ اسكتلندي من القرن الثالث عشر (م).

Twitter: @ketab_n

كما في إنجلترا، فإن حكايات الجنّ الذين يظهرون في المروج الخضراء في أوقات الشفق أو في ضوء القمر حيث يؤدي لهم البشر الفانون خدمات معينة ويتلقون المكافآت السخية على صنيعهم، احتلت مكانها بين أساطير الفلاحين الاسكتلنديين. ولا ريب في أن هذا الخلق لجنيات لطيفات وكريمات وغير مؤذيات، إن لم يكن ذا نفع، فقد كان الغذاء المناسب لخيال عباقرة الأدب الاسكتلنديين. تلك العبقرية التي كانت كئيبة في جوهرها- وقد خففت من كآبتها طرافة فظة— ولكنها في الأغلب تميل إلى السوداوية. ومنشأ هذه السوداوية هو عدوانية الطبيعة الخالدة تجاه الإنسان الفاني، وانتصارها الدائم في معركتها مع الإنسان الذي يدفع ضريبة هذا النصر في صراعه من أجل الوجود، ذلك الوجود الذي يكسب فيه امتيازات زهيدة ومؤقتة ولكنه يعرف منذ البداية أنه يصارع ضد قوى مستحيلة وغريبة الأطوار. تلك هي حقيقة الأرض القاحلة والمناخ الجاف والعاصف، الحقيقة التي فرضت نفسها قسراً على خيال الاسكتلنديين بشكل عام وإلى الأبد. فالراعي الذي يقاتل من أجل حياته وحياة شعبه ضد قوى التيه وقوة الثلج القاسي، هي صفة تطبع الصور الأدبية الاسكتلندية أكثر من صور جيمس هوغ، النائم على حافة الهضبة حالماً بأرض الخيال.

Twitter: @ketab_n

ولكن من غير ريب إن العنصر الأكثر قيمة في حكايات القرويين من وجهة نظر شاعرية، ليس هو العنصر الخيالي أو المتخيل، بل الإنسان أو الكائن البشري، وفي بعض الحالات نجده مصحوباً بقوة خارقة. ولعلّ أكثر الخرافات الاسكتلندية ترويعاً وغرابة وغموضاً حتى الآن، تتمثل في إيمانهم بعودة الموتى بشكل دوري إلى بيوتهم، ليس كأشباح تظهر في الليل ولا يراها غير الشخص الوحيد في الظلام، بل ككائنات اجتماعية تعود لتنضم إلى اجتماع العائلة، وتشاركهم احتفالاتهم، أو وفق العبارة القديمة المختصرة، تعود «لتأكل وترقص مع الأحياء».

لا شيء أكثر شيوعاً في مثل تلك الأيام من تذكر الناس لأصدقائهم وأحبائهم الذين رحلوا، وقد كانوا معهم في احتفالات السنة الماضية. وما هذه اللحظات التي يتذكر فيها الناس الراحلين ويتكلمون عن مناقبهم ومواقفهم وتصرفات معينة لهم، إلا حالات من الوجدان والخيال الشعري التي يشعر الناس من خلالها أن الموتى حاضرون معهم بأرواحهم، ولا تفصلهم إلا خطوة واحدة عن استحضار وجودهم الجسدي، ومن هنا قد ولدت هذه القصص الغريبة، ومن هنا بلا شك بدأت قصص الخيال والخرافات الجميلة والمؤثرة.

جورج دوغلاس

Twitter: @ketab_n

البراوني، البعبع، الكالبي، الحوريّون والعفاريت

Twitter: @ketab_n

البراوني الاسكتلندي

يشكّل الجن السمر أو البراوني في اسكتلندا، صنفاً مختلفاً في عاداته وميوله عن أصناف الجن الأشرار وغريبي الأطوار ذوي الأجساد الهزيلة والشعور الشعثاء والمظهر المتوحش.

في وضح النهار يتواري جن البراوني في حفرة معزولة في البيوت القديمة، حيث يطيب له السكن. وفي الليل يثابر ويكد للقيام بالمهمات الشاقة التي يعتقد أنها تفيد الأسرة التي نذر نفسه لخدمتها. ولكن البراوني لا يكدح على أمل الحصول على مكافأة أو تعويض عن جهوده، بل على العكس تماماً فهو حساس جداً في حبه لخدمة الأسرة، وما إن يعرض عليه أي نوع من المكافآت وخاصة الطعام، فإنه دون أدنى شك يختفي إلى الأبد.

ويُحكى أن براوني كان يسكن مع أسرة بوردر التي انقرضت الآن، وقد واجهت سيدة المنزل مخاضاً غير متوقع، ولم يبد الخادم الذي كلف بالذهاب إلى جيدبيرغ لإحضار القابلة الكثير من الاهتمام، فانسلّ الروح الأليف في معطف ضخم ليبدو شبيهاً

Twitter: @ketab_n

بالبشر وامتطى أفضل جياد اللورد وذهب إلى البلدة، وعاد وقد أحضر القابلة بعد فترة قصيرة من غيابه رغم ارتفاع منسوب نهر تويد إلى درجة خطرة، وكان لا مفر من الخوض فيه إلا أنه ما كان ليعرقل تقدم الجني. فخاض في النهر وخلفه القابلة ترتعد خوفاً، ثم أوصلها بأمان إلى البيت حيث هناك من يحتاجها. وبعد أن أعاد الحصان إلى الزريبة (الذي وجد بعد حين في وضع مزر) ذهب الجني إلى غرفة الخادم الذي أوكلت له المهمة ووجده ما زال يعقد شريط حذائه، فأوسعه ضرباً بسوط الخيل الذي كان الخادم يحمله. وهذه الخدمة المهمة التي قام بها الجني أسعدت اللورد، وتعبيراً عن امتنانه له أراد أن يكافئه. فهم اللورد بأن الجني سُمع وهو يعبر عن رغبته في الحصول على معطف أخضر، فأمر بتصميم معطف خاص له باللون المطلوب وتركه في المكان الذي يسكنه الجني. أخذ الجني المعطف ولكن لم يره أحد منذ ذلك الحين. ويمكننا أن نفترض أنه سئم من عمله المنزلي المجهد فذهب بردائه الجديد لينضم إلى الجن.

Twitter: @ketab_n

براوني بوديسبيك

مضى قرن تقريباً على ترك البراوني مزرعة بودسبيك في موفاتديل نتيجة لحدث مشابه. كان الجني قد أجهد نفسه في العمل في المزرعة سواء داخل البيت أو خارجه حتى أصبحت مزرعة بودسبيك الأكثر ازدهاراً في المقاطعة. كان الجني دائماً يأكل ما يشتهي من اللحم وبكميات معتدلة وبطريقة متواضعة، وحدث مرة في وقت يكثر فيه العمل ربما كان وقت الحصاد، أن أراد صاحب المزرعة أن يكافئ الجني الذي بدا أفضل من العمال العاديين.

فترك له ببساطة مزيداً من الخبز والحليب معتقداً أن من العدل أن يحسن من تعامله مع العمال البشر بتحسين نوع الطعام وكميته، وقد ينتفع الجني النشيط وينال نصيبه من النعمة، ولكنه دون أن يقصد قام بأكبر خطأ، حيث كانت النتيجة أن غادر البراوني المزرعة إلى الأبد وهو يهتف:

«ارحل أيها الجني ارحل،

Twitter: @ketab_n

ولينتقل الحظ من بودسبيك إلى ليثنا».

وبالفعل فقد غادر الحظ مزرعة بودسبيك وتبع البراوني إلى مزرعة مجاورة تدعى ليثنهول التي نقل إليها الجني صداقته وخدماته.

Twitter: @ketab_n

البراوني والخادمتان المختلستان

إحدى السمات الأساسية التي تميز البراوني هي حرصه الشديد على المسلك الأخلاقي لأهل البيت الذي يرتبط به. ولذلك فإنه يصيخ السمع دائماً، لكي يرصد ظهور أي سلوك غير لائق من قبل الخدم الآخرين، أي تقصير يحدث في الإصطبل، أو في حظيرة الأبقار، أو في موضع حفظ اللحوم، فمن المؤكد أنه سينقل الخبر فوراً إلى سيد المنزل، الذي تهمه مصلحته فوق كل شيء آخر. ولا يمكن بأي حال رشوته للتستر على أي تصرف شائن يحدث أمام ناظريه. ولهذا السبب كان القائمون على البيت من الرجال والنساء على السواء يتعاملون مع البراوني بمزيج من الخوف والكره والاحترام. وبالرغم من أن البراوني قلما يجد الفرصة للتجسس إلا أن هناك اعتقاداً ثابتاً بأنه لا يفوت فرصة للتجسس، ولهذا تأثير مفيد.

وهناك قصة رويت في بيبل شاير كمثال مضحك عن غيرة البراوني وحماستهم كمراقبين لأخلاق العاملين في المنزل. تقول

Twitter: @ketab_n

الحكاية إن خادمتين تعملان في الملبنة وكانت سيدتهما مقتصدة في إطعامهما. وفي أحد الأيام دفع الجوع بهما للقيام بسلوك غير لائق، فقد سرقتا زبدية من الحليب ورغيفاً من الخبز وجلستا تتناولانه في السر كما اعتقدتا. جلست الخادمتان على الأرض وبينهما مسافة حيث وضعتا الحليب والخبز وبدأتا تتناوبان على تناول قطعة من الخبز ورشفة من الحليب. وكانت كل واحدة تتناول الزبدية وترشف منها ثم تعيدها إلى مكانها لتأخذها الأخرى وهكذا. وقبل أن تنتهيا من الطعام جاء البراوني وجلس غير مرئي بينهما وكلما وضعت الزبدية على الأرض تناولها ورشف منها ولكنه شرب ضعف ما شربته الخادمتان معاً، فنفد الحليب بسرعة غير متوقعة. وكانت دهشة الفتاتين الجائعتين كبيرة جداً عندما أدركتا أن الزبدية فرغت بسرعة كبيرة فبدأت كل منهما باتهام الأخرى، متسائلة عن سبب هذه الأنانية في التصرف غير العادل، بينما كشف لهما البراوني السر بمرح وخبث إذ هتفت:

«ها! ها! ها!

شرب البراوني كل شيء».

Twitter: @ketab_n

البعبع

البعبع هو شبح يسعى إلى إرباك الناس وإخافتهم في المقام الأول، أكثر مما يسعى لخدمتهم أو لإيذائهم. هذا النوع من الأشباح يسكن في الماء ويسمى شيلي كوت، وقد أخذ اسمه من شكله حيث حين يظهر مغطى بالكثير من الكائنات البحرية وخاصة الصدف الذي يصدر خشخشة تعلن عن قدومه. وقد أعطى اسمه للكثير من الصخور والحجارة على الشاطئ الاسكتلندي. وفيما يلي حكاية عن عبث هذه الأشباح مع البشر.

ذات ليلة حالكة كان هناك رجلان يقتربان من ضفة نهر إيتريك فسمعا صوتاً حزيناً يصيح: «انتهيت! انتهيت!»، فتبعا الصوت وخيّل لهما أنه صوت شخص يغرق، وما زاد من دهشتهما أن الصوت كان يمضي مع النهر ومع ذلك راحا يتبعان صرخة الشبح الخبيث في تلك الليلة الموحشة العاصفة، حتى وصلا إلى منبع النهر قبيل الفجر ولكن بدا كأن الصوت

Twitter: @ketab_n

انتقل إلى الجهة الأخرى من الجبل الذي تسلقاه. وهكذا قرر المسافران المتعبان والمضللان أن يكفا عن اللحاق بالصوت، وحالما توقفا سمعا صوت شيلي كوت وقد انفجر بضحكة مجلجلة مبتهجاً بنجاحه في الاحتيال. يفترض الناس أن تلك الأشباح تسكن بشكل خاص البيت القديم في غورينبيري الذي يقع على نهر هيرميتيج في ليديسديل.

Twitter: @ketab_n

الفارس الملعون

تيم كونان هو نهر صغير كغيره من الأنهار الكثيرة المنتشرة في جنوب البلاد، وعلى ضفافه الكثير من المواقع المشمسة. ما زلت أتذكر كيف كنت ألعب في صباي في الماء في المناطق القليلة العمق ككشافة صغير، مستكشفاً سمك الترويت أو السلمون المرقط والحنكليس، أو جامعاً أصداف البحر التي تتجمع بكثافة في المخاضات[1]. أما ضفافه المشجرة فهي مكان رائع لقضاء النهار، ولكنها خطيرة في الليل. فأنا أعرفها جيداً وأعرف أنها لا تشبه ضفاف الأنهار الأخرى، كنهر آفون الذي يجري في الصحراء المهجورة، أو كنهر فويرس الذي يجري على شكل شلال هادر فوق الصخور المتكسرة، أو نهر أولدغرانت المخيف الذي يغرق في الظلام ويجري عميقاً في أحشاء الأرض. فما من واحد من هذه الأنهار يرتبط بقصص مخيفة كنهر تيم كونان، فبالكاد يستطيع أحد المشي أكثر من نصف ميل في مجراه من المكان الذي يغادر

(1) المخاضة هي الموضع من النهر قليل العمق الذي يمكن عبور المياه عبره (م).

Twitter: @ketab_n

فيه كونتين إلى أن يصب في البحر دون أن يصادف مشهداً مروعاً من بعض تلك الأساطير القديمة المخيفة عن الكالبي[1] أو أشباح الماء. وأحد أكثر المناظر ترويعاً بين تلك المناطق هي تلك التي ترى بين أدغال بيت كونان، حيث تدخل إلى مرج مستنقعي يتموج فيه السوسن كالرايات، ويندفع كحقل من الذرة في وقت الحصاد، ثم ترى رابية مغطاة بالصفصاف ترتفع كجزيرة في الوسط، وعلى كلا الجانبين تقع غابات كثيفة مظلمة، ويجري النهر مظلماً مرعباً ويلتف في دوامة تدور وتدور، وتيار محمّل بالطحالب ينجرف خلفه، وهناك أرض مدفونة لا تزال على قمتها آثار كنيسة كاثوليكية قديمة. ويمكن للمرء أن يرى بين الحجارة الخشنة، العارضة المصنوعة من الحديد المرفوعة فوق النافذة المقنطرة، والحوض الذي كان يوماً يحوي الماء المقدس. منذ حوالي مئة عام – قد يكون أكثر أو أقل من ذلك، فمن الصعوبة أن نكون دقيقين في تحديد تاريخ الحكايات القديمة– كان المبنى برمته، والمكان المحيط به حيث تنمو اليوم أشجار كثيفة، كناية عن حقل ذرة. ومن المحتمل أن تكون آثار خطوط الزرع ما زالت ظاهرة حتى الآن بين الأشجار.

(1) الكالبي: جني البحر (م).

Twitter: @ketab_n

وفي أحد الأيام كان ثلة من أبناء المرتفعات (هاي لاند) منشغلين بحصاد الذرة في ذاك الحقل، وفي وقت الظهيرة عندما أصبحت الشمس أشدّ توهجاً، وهم أكثر انهماكاً بالعمل، سمعوا فجأة صوتاً يهتف من النهر: «حانت الساعة ولم يأت الرجل».

وبالتأكيد عندما نظروا حولهم وجدوا الكالبي يقف فيما يسمونه الفيضان المزيف، تماماً أمام الكنيسة القديمة حيث هناك بركة عميقة سوداء في الأعلى وفي الأسفل، أما في المخاضة فهناك تموج جميل يوحي للناظر بأن الماء قليل العمق، وفي وسطه تماماً، في مكان يستطيع الحصان أن يسبح، وقف الكالبي وكرّر القول: «حانت الساعة ولم يأت الرجل».

ثم اختفى في البركة السفلية مومضاً كطلقة مدفع. وقف الحشد يفكرون في معنى العبارة التي قالها ذاك الكائن وماذا يقصد منها، وسرعان ما أدركوا معنى العبارة عندما شاهدوا رجلاً على ظهر حصانه ينزل الهضبة بسرعة عجيبة متجهاً مباشرة باتجاه مجرى النهر. وبعد أن فهموا ما قصده الكالبي انطلق أربعة رجال من بين الذرة وركضوا يحذرون الرجل

Twitter: @ketab_n

من الخطر الذي يتربص به طالبين منه التراجع، وأخبروه بما سمعوه وشاهدوه، وحثوه على العودة أو سلوك طريق أخرى أو الانتظار في مكانه ساعة، ولكن الرجل لم يرغب بسماعهم لسببين:

الأول أنه لم يصدقهم، والثاني أنه كان في عجلة من أمره، وتابع طريقه باتجاه المجرى رغم كل ما يمكن أن يقوله الكائن. لكن أبناء المرتفعات قرروا أن يحموه سواء رغب بذلك أم أبى، فتجمعوا حوله وأوقعوه عن حصانه، ولكي يضمنوا أنه في مأمن وأنه لن يهرب حبسوه في الكنيسة القديمة. حسناً عندما مرت الساعة المشؤومة، ساعة القدر التي ذكرها الكالبي، فتحوا الباب وصاحوا به بأنه يستطيع الآن متابعة رحلته لكنهم لم يسمعوا جواباً، فصاحوا مرة أخرى ولم يسمعوا جواباً. عندها دخلوا يستطلعون الأمر، فوجدوه جثة هامدة على الأرض، متيبساً بارداً ووجهه مدفون في الماء في الحوض الحجري نفسه الذي ما زال موجوداً بين الآثار. لقد حانت ساعته فأصابه الدوار وسقط على وجهه كما يبدو من جثته، في ماء الحوض وفارق الحياة. وهكذا صدقت نبوءة الكالبي.

Twitter: @ketab_n

غراهام مورفي

كانت عائلة غراهام العريقة في مورفي تتمتع بالقوة والسلطان في عهد مضى، ومع مرور الزمن ورغم تنعمهم بالثروة فقد انقطع في النهاية الذكور من نسلهم. وتعزو عجائز ميرنز اضمحلالهم لسبب غيبي خارق للطبيعة. وتقول الحكاية إن أحد النبلاء بنى القلعة القديمة بمساعدة جني الماء أو ما يعرف بالكالبي أو حصان النهر بعد أن هدده برمي رمحين على رأسه، وهكذا استطاع أن يروض الروح القوي لحمل أحجار البناء الضخمة ولم يعتقه حتى انتهى من كامل البناء. عندما نال الكالبي حريته كان سعيداً بخلاصه، ولكنه في الوقت نفسه كان يضمر حقداً على سيده بسبب الجهد الشاق الذي بذله في العمل كثمن للسماح له بالخلاص من الرمحين. لذلك وقبل أن يختفي في الماء استدار ونظر حوله وعبّر بالكلمات التالية عن حريته وعن مصير السيد الذي أوكل إليه العمل وأسرته:

Twitter: @ketab_n

«لتأت المصائب من الخلف ومن الأمام،

وتدفع أحجار اللورد مورفي،

سوف لن يزدهر اللورد مورفي،

طالما الكالبي على قيد الحياة».

Twitter: @ketab_n

الصياد وحورية الماء

روي الكثير من القصص الغرائبية في جزر شيتلاند حول حوريات الماء وحورييها. تحكي تلك القصص أنه تعيش في أعماق المحيط كائنات معينة يشبه شكلها إلى حد ما الجنس البشري، وتتميز بجمال فائق وبقوى خارقة ولكن محدودة، فهي عرضة للموت. وهذه الكائنات تنتشر في مناطق واسعة من الكرة الأرضية وفي أماكن أعمق بكثير من أماكن تواجد الأسماك، ويكون البحر بالنسبة لها كما السماء الغائمة بالنسبة للبشر، كما أنها تبني مساكنها من اللؤلؤ والمرجان وغيرها من ثمار البحر. ولكن رئتها غير ملائمة للعيش في الماء، بل فقط في الهواء الجوي لذلك فمن المستحيل بالنسبة لهذه الكائنات أن تجتاز المياه المتداخلة بين العالم التحت بحري والعالم السطحي للبحر. ولكن ما يساعدها على ذلك هو قواها الخارقة المتوارثة التي تمكّنها من الدخول في جلد بعض الحيوانات البحرية.

Twitter: @ketab_n

وأحد الأشكال التي يتخذونها هو شكل نصفه الأعلى شكل إنسان ونصفه الأسفل له ذيل وزعانف سمكة ولكن الشكل المفضل لدى تلك المخلوقات هو الفقمات الكبيرة أو نصف السمكة فقد مكنتها طبيعتها البرمائية من العيش ليس في المحيط فحسب، بل أيضاً على اليابسة ذات الطبيعة الصخرية. وقد اعتادت تلك المخلوقات أن تتخفف من ثيابها وتستعيد شكلها الأصلي، وبكثير من الفضول تتفحص نمط الحياة في العالم الخارجي الذي يعيش فيه الجنس البشري. ولسوء الحظ فكل كائن من الحوريين أو الحوريات له جلد واحد فقط يمكنه من ركوب البحر وإن حدث خلال زيارته لليابسة أن فقد ثوبه هذا فسيكون قدره المحتوم أن يعيش على اليابسة.

هناك حكاية تحكى عن مجموعة بحارة رسوا على الشاطئ بغرض صيد الفقمات التي تتمدد في تجاويف الجروف على ركام الصخور. تمكن الرجال من صيد الكثير من الفقمات وسلخوا جلودها تاركينها كتلاً من الشحم معلقة في أجسادها. تركوا الذبائح على الصخور وكانوا على وشك الإبحار من جديد من شاطئ «بابا ستور» عندما اندفعت موجة هائلة دفعت الجميع للهرب إلى المركب. وقد نجحوا جميعاً في دخول المركب ما عدا

Twitter: @ketab_n

رجلاً تلكأ بتهور ثم أخفق في الوصول إلى المركب. كره رجال المركب أن يرحلوا ويتركوا رفيقهم يهلك على الصخور المغمورة بالماء، ولكن النو تزايد بسرعة كبيرة. وبعد عدة محاولات فاشلة لتقريب المركب من الشاطئ اضطروا آسفين إلى ترك الرجل لقدره. أما رجل شيتلاند المهجور فقد وجد نفسه في ليلة عاصفة أمام خيارين، إما أن يموت من البرد والجوع وإما أن يجرفه الموج المتلاطم إلى البحر. ثم بدأ يلاحظ أن الكثير من الفقمات التي هربت ونجت من مهاجمة رجال المركب اقتربت من الصخور وتجردت من جلدها البرمائي، واستعادت شكلها كأبناء المحيط وبناته. كان الهدف الأول لتلك الفقمات مساعدة أصدقائها الذين تعرضوا للضرب بالهراوات من الصيادين وحرموا من جلودهم.

عندما استعادت الكائنات المسلوخة الجلد وعيها، استعادت شكلها كحوريين وحوريات. ثم بدأت تعول وتندب بطريقة جنائزية حزناً على خسارة ردائها البحري، وقد ترافق نواحهم مع هبوب عاصفة محمومة. وبعد خسارة جلدهم البحري فقد حرموا من التمتع بفضائهم اللازوردي ومسكنهم المرجاني الذي يقبع في أعماق الأطلسي. ولكن حزنهم الكبير كان على أولافيتنوس ابن جيوغا الذي سُلخ جلد الفقمة خاصته، وبالتالي

Twitter: @ketab_n

عليه أن يفارق رفاقه إلى الأبد محكوماً بأن يصبح متشرداً يعيش في العالم العلوي. وفجأة قطع غناءهم الحزين منظر أحد أعدائهم الذي كان ينظر إليهم مرتجف الأطراف، وفي عينيه نظرة قلق ويأس من جراء الموج الهائج الذي غمر الصخور. فكرت جيوغا مباشرة بطريقة تستغل فيها ظروف الرجل الخطيرة وتحولها لمصلحة ولدها، فخاطبته بدماثة، وعرضت عليه أن تحمله على ظهرها وتعبر به إلى شاطئ بابا ستور سالماً، بشرط أن يسلمها جلد الفقمة الخاص بابنها أولافيتنوس.

تمّت الصفقة بين الاثنين، فدخلت جيوغا في جلدها البرمائي فوراً، ولكن الرجل خاف أن تطيحه عن ظهرها العاصفة العاتية، فرجاها بحصافة أن تسمح له ضماناً لسلامته أن يشق مجموعة ثقوب في كتفيها وخاصرتيها، بحيث يستطيع أن يثبت كفيه وقدميه بين الجلد واللحم. أذعنت جيوغا لطلب الرجل، فامتطى ظهر الفقمة متمسكاً بعنقها وواضعاً نفسه في عهدتها.

أوصلته سالماً إلى أكريس جيو على شاطئ ستور، ومن هناك ذهب فوراً إلى كوخ السمك في هامنا فو. وبكل أمانة نفّذ الشق الخاص به من المعاهدة، وأعاد لجيوغا الجلد الذي سيمكن ابنها من العودة إلى المكان الأثيري حيث ينثر البحر فوقه عباءته الخضراء.

Twitter: @ketab_n

الحورية الزوجة

يُحكى أن أحد سكان أونست كان يمشي ذات يوم على شاطئ الخليج الرملي، فرأى عدداً من حوريي الماء ذكوراً وإناثاً يرقصون في ضوء القمر، وقد تناثرت على الأرض حولهم جلود الفقمات. وما إن اقترب منهم حتى سارعوا إلى الجلود واتخذوا شكل الفقمات وغطسوا فوراً في البحر. ولكن لاحظ الرجل أن أحد الجلود على مقربة من قدميه فانتزعه بسرعة وحمله وركض به ووضعه في مخبأ آمن. وعندما عاد إلى الشاطئ شاهد أجمل فتاة رأتها عين إنسان.

كانت الفتاة جالسة على الشاطئ تنوح وتندب خسارتها التي غرّبتها عن أصدقائها في العالم تحت البحري، فأصبحت من سكان العالم العلوي. ولم تجد توسلاتها في استعطاف الرجل وجعله يعيد إليها ما سلبه، ولكنه ولشدة ما أحبها عرض عليها أن يحميها تحت سقف بيته إذا وافقت أن تكون زوجته وشريكة حياته. بما أنه لم يكن أمامها خيار آخر سوى

Twitter: @ketab_n

أن تكون من أهل اليابسة، وجدت الحورية أن أفضل ما يمكنها القيام به هو الموافقة على عرض الرجل. وهكذا تزوجا ودامت علاقتهما الغريبة سنوات طويلة ورزقا عدداً من الأطفال، لكن الحب الجارف الذي كنه الرجل لزوجته قوبل ببرود من جانبها، وقد اعتادت أن تنسل وحيدة إلى الشاطئ المهجور، وبإشارة معينة كانت تظهر لها فقمة ضخمة وتعانقها بحميمية كبيرة، وتجري بينهما محادثات ومشاورات بلغة غريبة وبكثير من القلق. ومرت سنوات طويلة إلى أن وجد أحد الأطفال يوماً وهو يلعب مخبأً تحت كومة الذرة، ووجد في المخبأ جلد فقمة، وبفرح طفل ركض به إلى أمه.

تلألأت عيناها بهجة، فحالما نظرت إلى الجلد عرفت أنه لها، وأنه الوسيلة التي ستمكنها من العودة إلى موطنها. اغرورقت عيناها بنشوة الفرح، وسرعان ما امتزج فرحها بالحزن عندما ضمت أطفالها إلى صدرها وحضنتهم مودعة، ثم هربت بأقصى سرعة باتجاه الشاطئ.

عاد الزوج مباشرة بعد خروجها، وحين علم بما حدث هرع عله يدرك زوجته، ولكنه وصل في الوقت الذي أكملت فيه تحولها إلى فقمة، ورآها وهي تقفز من الصخرة إلى البحر.

Twitter: @ketab_n

ثم ظهر الحيوان الضخم من النوع نفسه الذي كانت تلتقيه به سراً وبدا واضحاً من مدى الرقة واللطف الذي عاملها به أنه كان يهنئها على هروبها. وقبل أن تغطس إلى الأعماق نظرت إلى زوجها البائس نظرة وداع، وقد أججت نظراته الحزينة في صدرها الكثير من مشاعر العطف والإشفاق للحظة ثم هتفت: «الوداع! أتمنى لك كل السعادة والتوفيق في حياتك. لقد أحببتك جداً عندما كنت أعيش على اليابسة، ولكني لطالما أحببت أكثر زوجي الأول».

Twitter: @ketab_n

مغامرة صائد الفقمات

كان في قديم الزمان رجل يعيش على الشواطئ الشمالية، ليس بعيداً عن «تاي جان كورت كالو» (منزل جون من غروتس)، وكان يكسب رزقه من خلال صيد السمك من كل الأحجام والأصناف، وبشكل خاص تلك الحيوانات المدهشة التي نصفها كلب ونصفها سمكة وتدعى «روني» أو الفقمات، وهذا ببساطة لأنه يتقاضى ثمناً كبيراً مقابل جلودها لأنها غريبة وقيمة. والحقيقة أن معظم تلك الحيوانات هي ليست بكلاب بحر ولا بقدّ[1] ولكنها جن كما سنرى من خلال هذه الحكاية.

حدث في أحد الأيام أن عاد الصياد المعروف إلى بيته بعد يوم عمل - في صيد الأسماك طبعاً- وما إن وصل إلى بيته حتى سمع رجلاً يناديه، وبدا غريباً تماماً. قال له الرجل إنه مبعوث إليه من قبل شخص يرغب في أن يبرم معه اتفاقاً للحصول على كمية كبيرة من جلود الفقمات، وبأن على الصياد أن يرافقه مباشرة

(1) القُدّ وهو نوع من أسماك شمالي الأطلسي (م).

Twitter: @ketab_n

ليلتقي هذا الشخص، وأنه من الضروري جداً أن يتم اللقاء في مساء ذلك اليوم نفسه. ولسعادته بإبرام تلك الصفقة التي توقع أن تكون مربحة لم يخطر بباله بأنه قد يكون في الأمر خدعة، فوافق مباشرة. ثم اعتلى الاثنان ظهر جواد الغريب وانطلقا بسرعة شديدة، إلى درجة أنهما شعرا بأنهما يمشيان مع الريح رغم أنهما كانا يجريان بعكسها. وعند وصولهما إلى جرف عجيب ينحدر باتجاه البحر، دهش الصياد إذ أخبره الغريب بأنهما قد وصلا إلى مقصدهما. فسأله: «وأين السيد الذي أخبرتني عنه؟».

«سوف تراه قريباً».

وهناك ترجلاّ، قبل أن يتيح الغريب لصياد الفقمات الوقت الكافي ليطلق العنان لشك بدأ يتسرب إلى عقله، أمسك به بقوة لا تقاوم وغطس به مباشرة إلى عمق البحر. وبعد أن غطسا إلى عمق يعلم الله وحده مداه، وصلا أخيراً إلى باب مفتوح أفضى بهما إلى مجموعة من الحجرات المأهولة بالسكان - ليسوا بشراً بل فقمات ولكنهم يتكلمون ويتصرفون كالبشر تماماً- وكم كانت دهشة الصياد كبيرة عندما اكتشف أنه هو نفسه قد تحول دون أن يدرك إلى فقمة يماثل شكلها أشكالهم. ولكم أن تتصوروا طبيعة الأفكار التي دارت في ذهن الصياد في تلك اللحظة لأنه يصعب وصفها.

Twitter: @ketab_n

وبالنظر إلى المسكن الذي حط فيه فأي أمل بالنجاة بدا له مجرد وهم من الخيال، بينما درجة الراحة وطول الحياة التي يعد فيها ذلك المكان الموحش كانا أبعد ما يكون عن المأمول. وقد جهدت الفقمات التي لاح عليها الحزن، في التعاطف معه، ومحاولة تهدئة روعه من خلال تعهدها بحمايته. ثم أيقظه صوت دليله من تأملاته بقدره البائس، وهو يقدم له سكيناً، وافترض أن تلك السكين سوف تضع حداً لكل اهتماماته الدنيوية. ورغم أنه في موضع مهجور تماماً ومع ذلك لم يكن ليرغب بأن يقتل، وحين أدرك هلاكه المحتوم ركع أرضاً وبدأ يستجدي الرحمة من كل قلبه. أما الحيوانات المسكينة فلم يكن في نيتها أن تلحق به أي أذى مهما استحق ذلك بسبب أفعاله السابقة، لذلك طلبوا منه أن يهدأ ويكف عن البكاء.

سأل الغريب الصياد: «أرأيت هذه السكين من قبل؟».

أدرك الصياد مباشرة أنها سكينه التي غرزها قبل أيام في فقمة وهربت بها، فاعترف بأنها كانت له فيما مضى، فما الفائدة من النكران الآن؟

Twitter: @ketab_n

أجاب الغريب: «حسناً، إن الفقمة التي هربت بالسكين هو أبي وهو طريح الفراش منذ ذلك الوقت، وما من وسيلة لعلاجه دون مساعدتك. لقد اضطررت للجوء إلى الحيلة والمكر لكي أجلبك إلى هنا، وقمت بذلك بدافع واجبي تجاه أبي وكلي أمل بأنك ستعذرني».

ثم اقتاد الغريب قاتل الفقمات الذي يرتعد خوفاً، متوقعاً بكل لحظة أن ينال عقابه على سوء معاملته للأب، إلى حجرة أخرى. وفي تلك الشقة وجد الفقمة عينها التي واجهها في ذلك الصباح وكانت تعاني من ألم شديد سببه لها جرح جسيم في جسمها، والمطلوب من قاتل الفقمات أن يساعد على شفاء جرحها بلمسة من يده.

حالما لمس الصياد الجرح شفي على الفور وتعافت الفقمة ونهضت من سريرها بوافر صحتها. هذا المشهد حوّل الحزن إلى بهجة وعم السرور والمرح المكان. لم يكن بالطبع هذا شعور قاتل الفقمات المسكين الذي توقع أن يبقى متحولاً إلى فقمة حتى نهاية حياته، ولكن مرة أخرى لم يتح له مرشده أن يغرق في تفكيره إذ بادره بالقول: «الآن يا سيدي، أنت حرٌ في العودة إلى زوجتك وأسرتك وسوف أعيدك إليهم على الفور، ولكن

Twitter: @ketab_n

قبل ذلك يجب أن توافق على شرط دقيق وواضح وهو أن تقسم اليمين بأنك لن تجرح فقمة أو تقتلها ما حييت».

رغم صعوبة هذا الشرط لكنه وافق عليه بفرح، ثم أدى القسم بالطريقة المطلوبة. وبعدها ودع معارفه الجدد وداعاً حاراً صادقاً، وتمسك بمرشده وخرجا من المكان وسبحا للأعلى حتى وصلا إلى سطح البحر، ثم صعدا إلى الصخرة حيث كان الجواد بانتظارهما لجولة أخرى. نفخ المرشد على الصياد فأصبح كلاهما رجلين، ثم اعتليا الجواد وعادا أدراجهما على الطريق نفسها التي جاءا منها، ولكن بسرعة مضاعفة هذه المرة. أنزل المرشد الصياد عند باب بيته وقدم له كتعويض عن حرمانه من مهنته، إمكانية التحول إلى فقمة وزيارة مساكن الفقمات تحت البحر متى شاء. ومع الزمن أدرك أن خسارته لتلك المهنة لم تكن بتلك الصعوبة التي ظنها في البداية.

Twitter: @ketab_n

حورية نوكدولين

كان البيت القديم لآل نوكدولين يقع على مقربة من شاطئ غيفارين وكان ثمة على طرفه صخرة سوداء. وقد اعتادت إحدى الحوريات أن تخرج من الماء كل ليلة وتجلس على تلك الصخرة وتغني لساعات وهي تمشط شعرها الأشقر الذهبي. أما الأم في بيت نوكدولين فوجدت أن غناء الحورية يزعج طفلها الصغير فقررت أن تتخلص من الحورية بطريقة مناسبة، فطلبت من الخدم أن يحطّموا الصخرة التي تتخذها الحورية مجلساً لها.

جاءت الحورية في الليلة التالية ولم تجد مقعدها المفضل فأخذت تغني:

«ربما تفكرين بطفلك، لكنني أفكر بصخرتي،

ولن يكون بعد اليوم وارث لنوكدولين»

وبعدها بفترة قصيرة وجد المهد مقلوباً رأساً على عقب وعثر على الطفل ميتاً تحته. وتضيف الحكاية أن أسرة نوكدولين انقرضت نهائياً.

Twitter: @ketab_n

لورد لورنتي الشاب

في فورفارشاير كان لورد لورنتي الشاب عائداً من رحلة صيد ولم يكن معه سوى خادمه واثنين من كلاب الصيد. وبينما يعبرون بالقرب من بحيرة معزولة تقع على بعد ثلاثة أميال إلى الجنوب من لورنتي وكانت في ذلك الوقت محاطة بالغابات، سمع اللورد فجأة صوت أنثى بدا له أنها تغرق. لم يكن اللورد شجاعاً وحسب بل لم يكن يعرف الخوف، فحث حصانه باتجاه البحيرة، وهناك رأى أنثى جميلة تقاوم الغرق.

صاحت الأنثى: «النجدة! النجدة! لورنتي! النجدة! النجدة! لو...»، وبدا أن الماء ملأ فمها فلم تستطع إكمال جملتها. لم يستطع اللورد مقاومة نزعته الإنسانية فاندفع إلى البحيرة وكاد أن يمسك بشعر الفتاة الأشقر الطويل الذي كان يطوف على سطح الماء كشلة من الذهب عندما فوجئ بخادمه يمسكه من الخلف ويسحبه خارج البحيرة.

Twitter: @ketab_n

كان الخادم أكثر وعياً من سيده وأدرك بأن الأمر برمته ليس إلا خدعة من أحد أشباح الماء.

هتف الخادم المخلص حين حاول اللورد رميه إلى الأرض: «مهلاً سيدي مهلاً! تلك المرأة المولولة ليست سوى -عافانا الله- حورية». وسرعان ما اعترف اللورد بصحة كلام خادمه، فبينما هو يتجهز لامتطاء جواده ظهرت الحورية مجدداً ونصفها خارج الماء وهتفت بصوت فيه خيبة أمل شيطانية غاضبة:

«لورنتي يا لورنتي،

لولا خادمك هذا،

لجعلت دماء قلبك،

تغني في مقلاتي».

Twitter: @ketab_n

المسخ ناكلافي

كان ناكلافي وحشاً يتميز بخبث خالص ولا يكف عن إلحاق الأذى والشر بالبشر. هو شبح في جسد، البحر موطنه الأصلي، وأياً تكن الوسيلة التي يتخذها للخروج إلى اليابسة فعندما ينتقل إليها يمتطي حصاناً مخيفاً يشبهه تماماً لدرجة يظن من يراه أنه وفرسه وحشاً واحداً. أما رأسه فيشبه رأس الإنسان لكنه أكبر بعشر مرات، ويبرز فمه إلى الأمام كفم الخنزير لكنه عريض جداً. والأكثر رعباً في مظهره أنه بلا شعر، ببساطة شديدة لأنه لا جلد له.

إذا ما أصيبت المحاصيل بآفة وتعفنت أو فسدت بسبب عاصفة بحرية، وإذا ما سقطت الماشية عن الصخور العالية المنتشرة على امتداد الشاطئ، أو إذا انتشر الوباء بين البشر أو الحيوانات فحتماً ناكلافي هو المسؤول عن ذلك.

أنفاسه سم يصيب الخضروات كآفة قاتلة، ووباء يقضي على الحياة الحيوانية. كما أن الجفاف الطويل المستمر في بعض الأحيان

Twitter: @ketab_n

يعزى إليه، ولأسباب غير معروفة فناكلافي يبغض الماء النقي بغضاً شديداً لذلك فهو لا يزور الأرض أبداً أثناء المطر.

وقد عرفت رجلاً تميز بأنه تعرض لهجوم من ناكلافي يوماً واستطاع بمعجزة أن ينجو من قبضته. وكان هذا الرجل شديد التحفّظ حيال الموضوع، لا يحب التحدّث عنه، ولكن بعد الكثير من محاولات الإقناع روى لي القصة التالية:

كان تاماس، واسمه مأخوذ من التامية وهي قلنسوة صوفية، خارجاً في وقت متأخر من الليل، ورغم غياب القمر إلا أن الليل كان مضاءً بالنجوم. وكان تاماس يسلك طريقاً بمحاذاة البحر حين وصل إلى منطقة يصبح فيها الطريق مسيجاً من جهة بالبحر ومن الجهة الأخرى ببحيرة عميقة من المياه النقية. وفجأة تراءى له أنه شاهد شيئاً ضخماً يتقدم نحوه مباشرة، وقد تيقن فوراً من أنه ليس مخلوقاً عادياً. ماذا عليه أن يفعل؟ فهو لا يستطيع الذهاب إلى أي من الجانبين والأخطر أن يعود أدراجه فهذا تماماً ما يبتغيه ذلك المخلوق الشرير. فقال تاماس لنفسه: «الله سوف يكون معي وسوف يساعدني لأني لم أخرج وبنيتي الشر هذه الليلة»، وكان معروفاً بشراسته وتهوره. المهم أنه قرّر أن يختار أهون الشرين وهو

Twitter: @ketab_n

أن يواجه العدو، فتابع طريقه دون تردد ولكن ببطء. وسرعان ما أدرك هول الشر الذي يتربص به، فالمخلوق الشنيع الذي يتقدم نحوه لم يكن سوى ناكلافي المروع. كان النصف السفلي من جسم هذا الوحش المرعب، كما وصفه تامي، كناية عن حصان ضخم، اكتست قوائمه بالزعانف، وله فم عريض كفم الحوت يبث نفساً أشبه بالبخار الذي يندفع من مرجل تخمير الجعة. وله عين واحدة فقط حمراء بلون النار. وقد جلس على ظهر الحصان بل بدا وكأنه نما على ظهره، رجل بلا رجلين وله ذراعان يداني طولهما الأرض. أما رأسه فضخم بحجم كرة سيمونز (وهي كرة من القش يبلغ قطرها زهاء ثلاثة أقدام) ورأسه الضخم هذا يتمايل على كتفيه وكأنه على وشك السقوط. ولكن الأكثر رعباً في مظهره كما يصف تامي كان أنه بلا جلد. فالجسد العاري بلا جلد يضفي مزيداً من الرعب على مظهر المخلوق، إذ يمكنك أن ترى لحمه الأحمر والدم الأسود كالقطران يجري في عروقه الصفراء، كما تظهر أعصابه البيضاء الكبيرة غليظة كمربط الفرس، تنثني وتتمدد وتتقلص كلما تحرك الوحش. تابع تامي طريقه ببطء يلفه الشعور بالرعب، لدرجة شعر معها ببرودة تلسع رأسه وكأن شعره تحول إلى قطعة من الجليد بين فروة رأسه

Twitter: @ketab_n

وجمجمته، وأخذ العرق البارد يتصبب من كل مسامه، لكنه أيقن تماماً أن لا جدوى من الهرب، وقال لنفسه إنه إذا كان قدره الموت فمن الأفضل أن يرى وجه قاتله بدل أن يقتله من الخلف. وبالرغم من كل الرعب الذي سيطر عليه إلا أن تامي تذكر ما سمعه يوماً عن ناكلافي بأنه يكره المياه النقية فاتخذ جانب الطريق باتجاه البحيرة. وحانت اللحظة الحاسمة عندما أصبح الجزء السفلي من رأس الوحش الضخم بمحاذاة تامي وفغر الوحش فمه كحفرة بلا قعر وقد هبّت منه ريح حارة لفحت وجه تامي ثم امتدت ذراعاه الطويلتان لكي تمسكا بالرجل التعس. في محاولة لتجنب قبضة الوحش انحرف تامي باتجاه البحيرة قدر ما يستطيع، ودون أن يقصد سقطت إحدى قدميه في البحيرة ونثرت القليل من الماء على إحدى قائمتي الوحش الأماميتين مما جعل الحصان يصهل مرعداً ويقفز إلى الجهة الأخرى من الطريق وشعر تامي بريح ذارعي ناكلافي الذي كاد أن يمسكه ونجا من قبضته. وحين أدرك تامي فرصته للهرب ركض بكل ما أوتي من قوة، فاستدار ناكلافي وبدأ يعدو خلفه هادراً كالبحر العاصف. كانت أمام تامي ساقية تحمل الماء الفائض من البحيرة إلى البحر وأدرك أنه إذا استطاع أن يقطع تلك الساقية فسيكون بأمان، فأجهد

Twitter: @ketab_n

كل عصب في جسمه وتابع الجري. كاد أن يصل إلى الضفة عندما وجد نفسه مرة أخرى بين قبضتي الذارعين الطويلتين، فقفز بيأس إلى الضفة الآخرى من الساقية تاركاً قلنسوته بقبضة الوحش. صرخ الوحش صرخة غريبة ملؤها الغضب والخيبة بينما سقط تامي فاقد الوعي في الجهة الآمنة من الماء.

Twitter: @ketab_n

الراعيان

بين لوتشابر وبيديناش كان يعيش راعيان يقطن أحدهما في الجهة الشرقية من النهر، والآخر في الجهة الغربية منه. وقد اعتادا أن يزور واحدهما الآخر. وذات مساء جاء الراعي الذي يسكن في الجهة الشرقية لزيارة الراعي في الجهة الغربية. تأخر في زيارته كثيراً ثم أراد أن يعود لبيته فقال: «يجب أن أعود إلى البيت».

ولكن اقترح عليه الآخر: «لا، لن أدعك تذهب في هذا الوقت المتأخر، ولأن الرحلة ستكون طويلة في الليل فمن الأفضل أن تبيت الليلة هنا».

فأجاب الضيف: «لا أستطيع البقاء، وإذا ما اجتزت النهر فإنني أعدّ نفسي قد وصلت إلى داري».

كان للمضيف ولد قوي جداً اقترح على الضيف: «سأرافقك حتى تقطع النهر، رغم أني أوافق أبي أنه من الأفضل أن تبقى هنا».

Twitter: @ketab_n

أجاب الضيف: «هذا ليس في مقدوري».

أردف الابن: «حسناً، إذا كنت مصراً على الذهاب فسوف أرافقك». ثم اصطحب ابن المضيف كلباً ورافق الضيف حتى قطع النهر. فقال الضيف: «يمكنك أن تعود الآن أنا ممنون لك».

رجع الشاب القوي ومعه الكلب وعندما وصل إلى النهر باتجاه بيته، فكر بينه وبين نفسه هل يخوض في النهر متنقلاً بين الأحجار أم يخوض في الماء. خشي القفز على الحجارة الزلقة فبدأ الخوض في النهر وفجأة قفز الكلب فوق رأسه من الخلف وكلما أنزله قفز مرة أخرى وهكذا حتى وصل إلى الضفة الأخرى. وهناك وضع يده فوق رأسه فلم يجد قلنسوته وفكر فيما اذا كان سيذهب للبحث عن قلنسوته أم يذهب إلى البيت من دونها.

«أكره الذهاب إلى البيت من دون قلنسوتي، سوف أعود إلى الضفة الأخرى فمن المؤكد أنها سقطت هناك». وهكذا عاد إلى الجهة الأخرى من النهر فوجد رجلاً ضخماً يجلس في المكان الذي كان فيه وفي يده القلنسوة، فأمسك الشاب القلنسوة وانتزعها منه.

Twitter: @ketab_n

فقال الرجل: «وما شأنك بها؟».

أجاب الشاب: «إنها لي وليس لك الحق بأن تأخذها مني حتى لو كنت قد وجدتها».

وعبر الرجلان النهر دون أن يكلم أحدهما الآخر ولكن بدا صمتهما مشحوناً بالكثير من الاشمئزاز والبغض. وحين خرجا من النهر مد الرجل الضخم يديه تحت ذراع الشاب وبدأ يشده بالقوة باتجاه بحيرة قريبة. ثم وقفا وجهاً لوجه بشجاعة وثبات من كلا الطرفين وبالرغم من قوة ابن الراعي كاد الرجل الضخم أن يهزمه، ففكر ابن الراعي أن يتشبث بسنديانة كانت في المكان مما أجهد الرجل الضخم في جرها معه، ولكنه ظل يجره حتى تقوضت الشجرة وانحنت واقتلعت جذورها إلا واحداً. عندها ومع انزلاق الجذر الأخير للشجرة بدأت الديكة في الغابة بالصياح فأدرك ابن الراعي أن النهار على وشك أن يطلع. ثم علا صياح الديكة وسمعه الرجل الضخم فقال للشاب: «لقد قاومت بجدارة من أجل شيء تافه أو ربما كانت تلك القلنسوة غالية على قلبك». وبعد أن قال ذلك تركه وغادر، ومن يومها لم يعد أحد يلحظه بالقرب من النهر.

Twitter: @ketab_n

فات ليبس (ذو الشفتين الغليظتين)

قبل زهاء نصف قرن كانت هناك متشردة شقية اتخذت لنفسها ملاذاً في سرداب مظلم بين آثار «دريبور آبي» حيث كانت تقضي النهار كله إلى أن يحل الليل فتخرج من مسكنها البائس وتذهب إما إلى منزل السيد هاليبيرتن في «نيومينز» أو إلى منزل السيد إيرسكاين في «شيلفيلد»، وكلاهما من سادة المنطقة. وكانت تحصل على قوتها من هذين المنزلين. وفي منتصف كل ليلة تشعل شمعتها وتعود إلى سردابها، بعد أن تؤكد لجيرانها المحبين أنه خلال غيابها يعتني بمسكنها شبح تسميه فات ليبس وتصفه بأنه رجل صغير يرتدي حذاءً حديدياً ثقيلاً يمهد به الأرض الطينية.

وكان ذلك سبباً لاعتبارها من قبل علية القوم – مع الشفقة– مختلة العقل أو أنها تعاني من خلل وتشوه في الفهم، ومن نظر عامة الناس إليها بشيء من الخوف. أما هي فلم تفصح أبداً عن سبب اختيارها لنمط الحياة غير الاعتيادي هذا، ولكن يعتقد

Twitter: @ketab_n

بأنه كان نتيجة عهد قطعته على نفسها بألا ترى الشمس في غياب الرجل الذي ارتبطت به، بما أن حبيبها لم يعد لأنه قضى في الحرب الأهلية بين عامي (1745–1746) فلم تعد تنظر إلى ضوء النهار قطّ.

وما زال السرداب أو بالأحرى الزنزانة التي عاشت فيها تلك المرأة الشقية وماتت يحمل اسم المخلوق الخارق الذي سكن خيالها المشوش، والقليل ممن يسكنون إلى جواره من الفلاحين يجرؤون على دخوله ليلاً.

Twitter: @ketab_n

الخروف الأحمق

تعالوا، اقتربوا من الموقد واسمعوا الحكاية التي سأرويها لكم، وأحضروا لي ثلاثة مناديل جيب، لا أكثر ولا أقل، ضعوها على الطاولة بالقرب مني، ولا تنسوا أن تحضروا مناديلكم، لأنها حكاية محزنة جداً كثيراً، نهايتها مأساوية وأفضّل أن نكون جاهزين لأي عاطفة جيّاشة قد تطرأ علينا.

قالت العجوز وهي تهبط المنحدر عائدة إلى بيتها من القرية: «ما أطيب رائحة الطبخ هذه! لابد من أن المزارع ميناب يعد مأدبة نادرة الليلة!».

مهلاً، يبدو أنني بدأت بالنهاية الخاطئة للقصة، دعونا نبدأ بشكل صحيح من السطر الأول وإلا فلن تستطيعوا فهمها بالرغم من أني واثق من شدة ذكائكم.

إنها قصة خروف أحمق تأخر عن القطيع في أحد أيام الصيف وضلّ طريقه ولم يستطع لوم أحد إلا نفسه، لقد كانت غلطته

Twitter: @ketab_n

لا غلطة الراعي ولا كلب القطيع. وبالتحديد كان ذلك نتيجة طمعه، فبينما يمضي القطيع فوق سبخة رأى الخروف الأحمق قليلاً من العشب اللذيذ على جانب الطريق وقرر أن يأكله بأي ثمن. وهكذا اختبأ خلف صخرة حتى غاب القطيع والراعي والكلب عن ناظريه ثم هتف فرحاً بصوت خفيض: «بااء، بااء» وتقدم ليرعى الكلأ الشهي.

لكنه سرعان ما ندم على حماقته حين اكفهرت السماء وأظلمت فجأة وبدأ المطر يهطل والليل يقترب، وأين سيجد الخروف الأبله ملاذاً له الآن، بعد أن ابتعد القطيع كثيراً وأصبح الراعي والكلب اللطيف خارج نطاق النظر أو السمع. وبقلب يملؤه القلق تجول الخروف الأحمق حول المستنقع تائهاً، بحالة مزرية من الخوف وكله أمل بأن يمر أحد الأصدقاء ويشفق عليه، لأنه كان صغيراً وللمرة الأولى في حياته يكون وحيداً. كانت بقعة منعزلة تماماً وزاد هدير الرعد المتواصل من خوف الحيوان الأخرق، بينما أذهب النعيق الشنيع والشؤوم للغراب من شجرة الصنوبر القريبة آخر ذرة من الإحساس في رأسه.

فبدأ يعول «بااء، بااء، بااء!» ويعدو هنا وهناك، «بااء، بااء، بااء!، أين سأجد المأوى؟ بااء، بااء!».

Twitter: @ketab_n

«أخيراً وجدت شيئاً». صاح الخروف الأحمق حين لمح دخاناً يتصاعد متعرجاً من كوخ خلف أكمة من شجر الخلنج. وما إن اجتاز المنعطف حتى وجد طريقه إلى درب ضيق بين رقعتين من اللفت والبطاطا، ولم يهدأ حتى نفذ ما عزم عليه، واستطاع أن يفتح الباب المنخفض ويدخل المسكن المتواضع.

«حياة هانئة وكعكة حامضة»، صرخت السيدة العجوز التي أجفلها هذا الاقتحام المفاجئ، ولكنها سرعان ما أفاقت من الصدمة حالما عرفت من كان المتطفل، وبدأت تهنئ نفسها على حظها الحسن في الحصول على هذا الكنز الثمين.

فقالت له: «اقترب، اقترب يا خروفي الجميل، عليّ أن أعترف بأنني محظوظة اليوم، فقريباً جداً سوف أحصل على بعض النقود بفضل هذا الزائر. سوف أطعمك وأعتني بك حتى يحين الوقت، وسوف تعيد لي ثمن أتعابي». وهكذا حصل الخروف الأحمق على أكثر مما حلم به، سقف يحميه وما يكفي من الطعام والماء مما يطيب له، والشيء الوحيد الذي عليه فعله هو أن ويجتر ويسمن بجانب موقد العجوز.

لم يكن الخروف الأحمق ناكراً للجميل، ويا ليته كان كذلك، إذ فكر في أحد الأيام وهو مستلق أمام الموقد يتأمل في النعمة

Twitter: @ketab_n

التي هو فيها والمسكن المريح: «سوف أرى كيف يمكنني أن أرد جميل هذه المرأة الطيبة؟ بصدق أرغب بأن أقدم لها خدمة إذا كان بإمكاني ذلك، سوف أصغي جيداً وحالماً أجد الفرصة المناسبة سوف أبذل ما بوسعي لإرضائها».

أقول لكم كان الخروف الأحمق قابعاً أمام الموقد في مثل اللحظة التي أحدثكم فيها. كان الوقت مساء وكانت العجوز قد فرغت لتوها من تناول عشائها، وهو وجبة دسمة من الثريد مع قليل من سمك الرنكة والبطاطا المملحة ليسهل هضم الثريد، وإلى جانبها زبدية من الحليب نصف فارغة ستحتفظ بها للفطور مع ما تبقى من طعام.

قالت العجوز: «آه، يا لشقائي!»، وتثاءبت من شدّة الإرهاق بعد يوم عمل طويل في حقل اللفت حتى آلمها ظهرها. «آه، يا لشقائي! كم أتمنى لو أن هذا العشاء ينظف نفسه عن المائدة! ولو أجد نفسي في السرير دون أن أضطر إلى النهوض أو تبديل ملابسي».

فكّر الخروف الأحمق: «آها! هذه فرصتي لكي أردّ الجميل لهذه السيدة اللطيفة، أنا ناضج وممتلئ الجسم وخاصة بعد شهر من الرعاية، وأنا متأكد من أني قوي بما فيه الكفاية لفعل ذلك».

Twitter: @ketab_n

وهل تصدقوا ما حدث؟ قبل أن يستقر الطعام في معدة العجوز كان الخروف الأحمق قد قلب الطاولة رأساً على عقب وبهذا لم يبق عليها شيء من العشاء الذي أصبح كله على الأرض، ليس هذا فحسب بل أيضاً وجدت المرأة العجوز نفسها مطروحة على سريرها، فقد نطحها الخروف الأحمق نطحة واحدة طوّحت بها عبر الغرفة ورمتها على السرير!

«بااااء، بااااء، بااااء!»، قال الخروف فخوراً بنجاحه وابتسامته من الأذن إلى الأذن، «بااااء، بااااء، بااااء! ما رأيك بهذا أيتها السيدة الطيبة؟».

صرخت السيدة من سريرها: «انتظر لحظة وسوف أعلمك كيف تقول بااااء، بااااء، بااااء!» ثم نهضت متألمة من سريرها حتى وصلت إلى عصا المكنسة واقتربت من الخروف الأحمق.

قال الخروف الأحمق لنفسه: «الآن حان وقت المكافأة».

وبالفعل كانت مفاجأة بالنسبة إليه، ففي أقل من دقيقة وجد نفسه خارج المنزل في الشارع وقد ملأت الكدمات جلده.

قال الخروف الأحمق متحسراً: «لا بأس، من المؤكد أنه لا تمكن محاسبة بعض الأشخاص على جحودهم ونكرانهم

Twitter: @ketab_n

للجميل، سوف أحرص على أن أكون أكثر حذراً عندما أقدم معروفاً في المرة القادمة، إذا أتيحت لي الفرصة مرة قادمة! آمل بأن أحصل على الفرصة». ثم مضى كئيباً مكسور الخاطر يتجول على طريق المستنقع.

«بااااء، بااااء، بااااء! أما من أحد يشفق على الخروف الأحمق الذي ضل طريقه؟ بااااء، بااااء، بااااء! يا للروعة، أخيراً هناك شيء ما!»، قال الخروف الأحمق عندما رأى امرأة تحمل دولاب الغزل وتصعد به زقاقاً ضيقاً بدا كأنه يفضي إلى الغابة، «سوف أتبعها، أشك في أنها تستطيع المشي بهذا الحمل بعيداً، لابد من أنها تقيم قريباً من هنا». وهكذا تبع الخروف الأحمق المرأة تاركاً مسافة بينهما.

«عجباً!» قالت العجوز واستدارت عندما سمعت وقع خطوات خلفها: «فلأنتظر قليلاً فهناك خروف قادم على الطريق! حسناً، لو صبرنا بما فيه الكفاية فسيطرق الحظ أبوابنا. المخلوق المسكين يبدو يتألم ولكن لا بأس فيوم أو اثنان من العناية والتمشيط ويصبح على ما يرام، وأحصل على بعض الصوف الجيد. اقترب أيها الخروف الأحمق أهلا بك!»، وفتحت باب الكوخ فدخل الخروف الأحمق وجلس راضياً قرب الموقد.

Twitter: @ketab_n

وبما أنه أصبح يعرف الآن كيف يحسن التصرف في البيت، فقد سارت الأمور بينه وبين العجوز بسلاسة. وقهقهت المرأة مهنئة نفسها على حسن حظها إذ كان مخزونها من الصوف على وشك أن ينضب وقد جاءها من الصوف ما يجعلها منشغلة لفترة طويلة. وهكذا نما الخروف وسمن وبدا صوفه حريرياً زاهياً لأن المرأة بالغت في العناية به، فكانت تمشطه وتغسله كل يوم لدرجة لم يستطع معها الخروف إلا أن يتمنى لو أنه يستطيع فعل شيء لرد جميلها، فقد كانت لطيفة وكريمة معه، وصار الخروف يتحين الفرصة ليرد لها معروفها، حتى وجد هذه الفرصة ذات صباح لطيف وبشكل غير متوقع قبل موعد جز الصوف.

قالت المرأة لنفسها بصوت عال وهي تستعد للخروج في نزهة: «للأسف لا يحصل المرء على كل ما يريد، فكم من العذاب سيكلفني جز صوف هذا الخروف! أعتقد أنني مضطرة إلى الذهاب اليوم بالذات إلى منزل المزارع ميناب ربما أحصل على المساعدة من خدمه، وإلا فسأتأخر عن موعد الجز. كم أتمنى لو يُجزّ الصوف من ذات نفسه ويوفر عليّ كل هذا العناء! ولكن لا بأس، لا يجب أن أتذمر». وهكذا خرجت المرأة.

Twitter: @ketab_n

همس الخروف الأحمق في سرّه: «أيتها العجوز الطيبة، أعتقد أني أستطيع القيام بهذه المهمة من دون أن تزعجي المزارع ميناب أو تتعبي الخدم. لقد كنت حقاً طيبة معي وليس مهماً كم سيؤلمني ذلك، ولكن سأفعل ما في وسعي وعندما أنتزع الصوف عن جلدي سيكون ذلك لطيفاً وسأشعر بالبرودة فالجو شديد الحرارة، وبهذا سأستفيد أنا أيضاً من هذا العمل الحسن».

ويجب أن أخبركم بأن الحديقة في منزل العجوز كانت مليئة بشجيرات الكشمش، بالإضافة إلى سياج من الزعرور يسورها وبعض الصخور البركانية القديمة الخشنة على حافة السور. فحدّث الخروف الأحمق نفسه: «هذا بالضبط ما أحتاج إليه»، وبدأ يتدحرج هنا وهناك فوق الأحجار ثم تقافز ذهاباً وإياباً بين أشجار الزعرور. وفي غضون أقل من عشر دقائق لم يبق على ظهره سوى مزق بالية من الصوف فوق الكثير من الخدوش والجروح التي ملأت جسده من رأسه حتى ذيله حتى صار في حال يرثى لها. وهناك على الصخور والسور وشجيرات الكشمش انتشر الصوف بأطوال مختلفة كحبل من الزينة حتى هبت ريح غربية وطوحت نصفه على طول الطريق كشذرات من الزبد، وهذه بالتأكيد كانت مفاجأة سعيدة بالنسبة إلى العجوز العائدة من منزل المزارع.

Twitter: @ketab_n

أخيراً وصلت إلى الكوخ فقد تأخرت أكثر مما توقعت لأنها توقفت لتلتقط خصل من الصوف رأتها على الطريق معتقدة المسكينة بأنها سقطت من قطيع عابر، وبالرغم من أنها لم تكن تستحق العناء ومع ذلك تمكن الاستفادة منها بشكل من الأشكال. ولكن، عندما وصلت إلى كوخها ورأت الخراب الشنيع والخروف البائس يقف عند المدخل مبتسماً في وجهها، صعقتها الصدمة ورغم أنها فغرت فمها إلى آخره باستغراب ولكن الدهشة والغضب أخرساها تماماً.

صاح الخروف الأحمق: «بـاااء، بااء، بااااء! انظري ما فعلته من أجلك! بااء، بااء، باااء!»، ثم أضاف: «آها، لقد حان وقت المكافأة!» عندما شاهد العجوز تخطو مسرعة باتجاهه.

لم يدر الخروف الأحمق ما حدث أو كيف حدث فقد وجد نفسه يرمى عبر سياج الزعرور البري إلى الشارع الخلفي وجلس يئن من ألم مبرح لم يشعر بأشد منه قط. لقد أصابه النعل الذي رمته به العجوز بقوة كبيرة من شدة غيظها وخيبة أملها.

«يا إلهي، يا إلهي! لابد من أن هذا النعل مصنوع من الحديد!» تأوه الخروف الأحمق وهو يعدو على الطريق بما أسعفته به قوائمه الثلاث من قوة. دعوني أخبركم أن قائمته الرابعة كانت شبه مشلولة كثيراً بسبب سقوطه عليها.

Twitter: @ketab_n

قال الخروف الأحمق: «يا لها من عجوز بهيمة على هذا التصرف! حسناً من المؤكد أنه لا تمكن محاسبة بعض الأشخاص على جحودهم ونكرانهم للجميل». يجب أن أكون أكثر حذراً في المرة القادمة، إذا كان هناك مرة قادمة، فآمل أن أحصل على فرصة أخرى». ثم تابع تجواله بألم عبر المستنقع.

«بـااء، بـااء، بـاااء! أمن أحد يشفق على خروف أحمق مسكين ضل طريقه؟ بااء، بااء، باااء! أخيراً هناك شيء ما»، قال الخروف عندما رأى امرأة تجمع العيدان من أيكة صغيرة على جانب الطريق. «سوف أجلس هنا حتى تنتهي من جمع العيدان ثم أتبعها إلى بيتها».

ولم يكن عليه أن ينتظر طويلاً فسرعان ما حزمت العجوز ما جمعته من عيدان وهمّت في طريقها إلى البيت، فتبعها الخروف الأحمق تاركاً مسافة بينهما إلى أن وصلت إلى كوخها. وما إن فتحت الباب حتى انسلّ بين رجليها ودخل بسرعة وتمدد بجوار الموقد، بالطبع فلقد أصبح يحسن التصرف تماماً الآن، كونوا على ثقة من ذلك.

قالت العجوز: «يا إلهي! خروف في كوخي! من أي جهة من هذا العالم الواسع جاء؟ هل يمكن أن يكون المزارع ميناب

Twitter: @ketab_n

أرسله لي من أجل مؤونة الشتاء؟ في كل الأحوال أحب أن أعتقد ذلك وسوف أتعامل مع الأمر على أنه كذلك ما لم يسأل عنه أصحابه، وأتمنى ألا يحدث هذا. رحماك ربي! يا للخروف المسكين! حالته تثير الشفقة، لكنه سمين وهذا كل ما أريده». وهكذا ضمدت العجوز جراح الخروف الأحمق وقصت مزق الصوف التي كانت لا تزال تتدلى متشعثة على جلده وغسلت كدماته التي تسببت بها الرفسات الرهيبة. وبعد أن أطعمت الخروف بكل ما توافر عندها من أطايب، جلست بالقرب من الموقد تهنئ نفسها على حسن حظها. ويوماً بعد يوم كانت تطعم الخروف الأحمق بكل ما هو مفيد ومغذ والخروف يزداد سمنة حتى صار يتحرك بصعوبة من مرقده إلى جوار الموقد وكل ما يفعله هو أن يأكل وينام ويأكل وينام طوال اليوم.

كانت سعادة الخروف كبيرة بمسكنه الجديد وصاحبته الجديدة إلى درجة أنسته كل المحن السابقة ففكر في سرّه: «أنها امرأة لطيفة وكريمة ولا يمكن أن تكون جاحدة بالتأكيد، لذلك فسوف أحاول أن أرد لها الجميل إذا استطعت أن أعرف ماذا تريد».

Twitter: @ketab_n

واقتربت ليالي نوفمبر المظلمة وقالت المرأة لنفسها لقد حان وقت تمليح اللحم وتخزينه لمؤونة الشتاء. وحدث أنه في ظهيرة أحد الأيام، وفي حين جلست المرأة تحسب كم من اللحم الطازج يدوم للاستخدام الحالي، وكم ستملح منه وتخزنه للشتاء، ربّتت الخروف الأحمق بلطف وتحسست لحمه ثم قالت بصوت عال: «آها، يا لهبر اللحم الشهي! يا لهبر اللحم الجميل! يا إلهي! لو أنه يُشوى من ذات نفسها دون أي جهد مني فسأكون أسعد امرأة». وتنهدت ثم وضعت شالها على كتفيها وخرجت، فقد كان لديها ما تفعله في القرية وترغب بالعودة قبل حلول الظلام.

يجب أن أخبركم بأنه عندما ربتت المرأة الخروف الأحمق وبالرغم من أنها فعلت ذلك بلطف وبنعومة بالغة إلا أنه أفاق من نومه ونظر إليها وسمع كلماتها الأخيرة وربما لو سمع كامل الحديث عن تمليح لحمه وتخزينه لما شعر بذاك الامتنان الذي شعر به، لكنه لسوء حظه لم يسمع سوى آخر الحديث فقال لنفسه: «تريد بعض اللحم مشوياً دون عناء، أليس كذلك؟ سيكون لك ذلك أيتها السيدة الطيبة! هذا ليس بصعب، كل ما يلزمني خطوة واحدة من هذه الزاوية إلى الموقد، وبما أن صوفي نما مجدداً بعد أن تخليت عنه فلابد من أن لحمي سينمو مجدداً أيضاً. إن ما تطلبه

Twitter: @ketab_n

قليل جداً مقابل كل التعب والاهتمام اللذين منحتني إياهما، عليّ الاعتراف بذلك». وهكذا نهض ورمى نفسه وسط جمر الموقد الملتهب.

قال الخروف الأحمق: «يا للهول! ما رائحة الطبيخ هذه! عجباً من أين تأتي؟ يا للهول! أشعر بالحر الشديد، أتمنى أن يتحمص اللحم سريعاً! يا إلهي! أكاد أختنق من الدخان! ألا تستطيع العجوز استخدام حطب أفضل من هذا؟

ولكنه لم يستطع قول المزيد فقد كان سميناً لدرجة أنه لا يستطيع النهوض بسهولة بعد أن يجلس وهكذا سقط مختنقاً بالدخان في موقد العجوز.

«ما أشهى رائحة الطبخ هذه!» لا بد أن المزارع ميناب يقيم مأدبة عظيمة! ترى لماذا لم يدعني إليها؟ يا له من رجل بخيل! يا لبؤسي! هذه الرائحة جعلت لعابي يسيل. ولكن لا بأس سوف يكون لدي مأدبتي الخاصة عاجلاً أم آجلاً ولن أدعيه إليها –لا، لا، لست أنا من يفعل ذلك!» وتوقفت لحظة تقهقه لنفسها حالما تخيلت الخروف الأحمق الذي يقبع في البيت ولحمه المدهن.

Twitter: @ketab_n

قالت العجوز وهي تهبط المنحدر عائدة إلى بيتها من القرية: «ما أطيب رائحة الطبخ هذه! لا يمكن أن تكون منبعثة من منزل المزارع ميناب فهو يقع على السفح إلى اليمين وهذه الرائحة الشهية تأتي من بعيد من فوق الوادي وليس هناك سوى بيتي. لابد من أن بعض العمال الجوالين يعدون طعامهم في الغابة، أتمنى فقط ألا يكونوا دعوا أنفسهم إلى طعامي في غيابي، إنهم أشخاص سيئون أولئك العمال!» ورفعت ثوبها وحثت خطاها باتجاه البيت.

قالت عندما انعطفت من غابة الصنوبر باتجاه كوخها: «يا لها من رائحة شهية! أوه! أوه! أوه! أوه! ماذا أرى؟».

ليتني أستطيع أن أصف لكم المنظر الذي طالعها من غيوم الدخان المتصاعدة من الباب والنوافذ إلى اللهب المنتشر في السقف الخشبي إلى بقايا الخروف المتصلبة في وسط الموقد بين الأثاث المحترق.

وأمام هذا المنظر فغرت المرأة فمها وبدأت تصرخ قائلة... لا، من الأفضل ألا أخبركم بما قالته لأن ذلك لن يجعل القصة أكثر متعة ولن يغير نهايتها الحزينة أو يخفف من مأساويتها، ولكن يكفي أن أقول إن ما قالته لم يكن مؤدباً ولا محتشماً.

Twitter: @ketab_n

ولكن وكما قال الخروف الأحمق من الصعب حقاً فهم سبب جحود بعض الناس أو نكرانهم للجميل، وهذه ليست مجرد ملاحظة سخيفة وإنما تستحق أن ننعم النظر فيها بدقة أكبر، أليس كذلك؟

Twitter: @ketab_n

السحر والعرافة

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

حكاية ماكغيليشالوم من رازاي

كان جون غارف ماكغيليشالوم، من منطقة رازاي، بطلاً مشهوراً من العصور القديمة. وقد تميّز عن غيره من معاصريه بمآثره الكثيرة، التي جعلته موضعاً لقصائد الشعراء وأغاني المغنين.

لم يكن رازاي، كما يُعرف، قوي الجسد وافر الصحة فحسب، بل أسبغ عليه الله أيضاً جميع القدرات العقلية النبيلة الحري ببطل حقيقي أن يمتلكها، وما زاد من تألقه أنه لم يخفق يوماً في استخدام مواهبه وقدراته الاستخدام الأمثل. لقد كان العدو الذي الذي لا يقهر للشقيقات الساحرات اللواتي كان له الفضل الكبير بإرسال الكثيرات منهن إلى «قدرهن الأسود» أبكر بكثير مما كن يرغبن أو يتوقعن. لذلك لم يكن من المتوقع إلا أن تحسب له مآثره تلك التي جعلته محبوباً من جميع الناس، وجعلته محط اهتمام العجائز الملعونات اللواتي اعتبرنه عدوهن الأكبر، وكن بطبيعة الحال تواقات للانتقام

Twitter: @ketab_n

منه، يتحينّ الفرص لإرواء هذا الظمأ. وقد واتتهن الفرصة للأسف ونلن انتقامهن الذي لطالما تقن له، كما ستكشف سريعاً أحداث هذه القصة الحزينة.

حدث ذلك في وقت كان فيه رازاي ومجموعة من صحبه الشجعان يعدون رحلة لجزيرة لويس لصيد الغزلان، وبعد بضع ساعات بالمركب كانوا يطاردون الغزلان في جبال جزيرة لويس. وكان صيدهم ممتازاً، فقد كانت يد رازاي الخبيرة تسقطهم الواحد تلو الآخر.

عندما حال الليل دون استمرار المطاردة، عادوا إلى مركبهم وأمضوا ليلتهم بالتسلية والمرح غافلين عن الأسى الذي ينتظرهم في الصباح.

استيقظ ربّان المركب وأتباعه مع بزوغ فجر اليوم التالي واستعدوا للعودة إلى رازاي. كانت الرياح قوية والطقس ينذر بقدوم العاصفة، بينما صبّت الغيوم غضبها وابلاً من المطر الغزير، لكن رازاي كان مصمّماً على العودة إل الديار، فأمر البحارة بالاستعداد لرحلة العودة. مع ذلك حاول أشدّ رجاله حذراً وأقلّهم شجاعة حمله على تأجيل الرحلة حتى يهدأ الطقس قليلاً، لكنه وبشجاعة لا تعرف الخوف رفض النصيحة مبدياً عزمه الذي لا يتزعزع على إتمام الرحلة دون تأخير.

Twitter: @ketab_n

وفي محاولة منه لبثّ روح الإقدام والشجاعة في نفوس البحارة لحملهم على الموافقة على رحلة العودة، أجّل الرحلة قليلاً. وبينما كانت المجموعة تناقش على الشاطئ جدوى المغامرة المقترحة، ظهرت فجأة عجوز متجعدة الجبين تتكئ على عكازة، فقام فسألها رازاي مندفعاً بحرارة النقاش ما إذا كان الإبحار في ظل تلك الأحوال الجوية مجدياً وخالياً من الخطر أم لا. أجابته المرأة دون تردد بالإيجاب مثنية على شجاعتهم مما أسكت على الفور أي معارضة، وليصعد بعدها الجميع إلى المركب وينطلقوا باتجاه رازاي. ولكن وأسفاه! ما كانت نتيجة ذلك؟

حالما أصبحوا تحت رحمة الأمواج، بدا كأن عناصر الطبيعة تتآمر للقضاء عليهم، فقد باءت جميع محاولاتهم للعودة بالسفينة بالفشل، ومضت تجرفها الرياح باتجاه رازاي. بذل القبطان الباسل جهده لبثّ الحيوية في رفاقه وإبعاد شبح اليأس الذي بدأ يخيم عليهم محاولاً أن يكون مثال الشجاعة والتصميم. استلم دفّة القيادة وبالرغم من اجتماع قوى البحر والريح والبرق حافظ على ثبات السفينة في مسارها باتجاه النقطة المرتفعة من إيرد في سكاي. ارتفعت معنويات الطاقم مجدداً وبدأ الأمل يرتسم على وجوههم عندما... ويا للأسف! وسط ذلك الارتباك شاهدوا

Twitter: @ketab_n

قطة كبيرة تتسلق حبال أشرعة السفينة وسرعان ما تبعتها أخرى تماثلها حجماً وتلك تبعتها أخرى أيضاً حتى أصبحت الأشرعة والصواري والمعدات بأكملها مغطاة بالقطط. لم يخف منظر كل تلك القطط رازاي الحازم رغم معرفته التامة بهويتها الحقيقية، إلى أن ظهر قط أسود كبير، أكبر من كل القطط الأخرى على رأس الصاري كأنه قائد تلك الكتيبة بأكملها. حالما رآه رازاي أدرك العاقبة ومع ذلك عقد العزم على ألا يسلم روحه دون أن يكون لها أغلى الأثمان، وأمر حالاً بالهجوم على القطط ولكن ويا للأسف سرعان ما ثبت عقم ذلك لأن القطط قامت بجهد متزامن بإدارة حافة المركب باتجاه الريح لتدفع جميع من على متنها إلى قبرهم المائي. وهكذا انتهت الحياة المجيدة لجان غارف ماكغيليشالوم من رازاي، مما سبب أسفاً مريراً لا يزول لقبيلة «ليود» الشجاعة وكل الناس الطيبين، كما شفى غليل الساحرات المقززات اللواتي حققن بذلك لعنتهن المؤسفة.

Twitter: @ketab_n

ساحرة لاغان

في اليوم نفسه كان بطل آخر معروف بشدة مقته للسحر يدفئ نفسه في كوخ الصيد الخاص به في غابة غايك في بادينوخ. وكان كلبا صيده المخلصان مقعيين بجانبه مرهقين من مطاردة الصباح، في حين استندت بندقيته التي لا تخطئ أهدافها في زاوية الكوخ، وعلق خنجره سكي إن دهو[1] ذا النصل الحاد إلى جانبه.

وبينما جلس الصياد مصغياً إلى هدير العاصفة دلفت إلى الكوخ قطة مسكينة أنهكها الطقس، ترتجف من البرد وقد تبللت حتى العظام. حالما لاحظ الكلبان وجودها انتصب فروهما ونهضا توّاً ليهاجما القطة المسكينة التي وقفت ترتعد بالباب.

صرخت القطة المرتعدة التي بدا عليها الأسى: «يا صياد التلال العظيم، جئت أطلب حمايتك. أعرف أنك تكره ممارستي للسحر وربما لديك كل الحق، ومع ذلك اعف عن مخلوقة بائسة مسكينة خائرة القوى لجأت إليك لتحميها من قسوة الشقيقات الساحرات».

(1) خنجر صيد اسكتلندي الأصل (المؤلف).

Twitter: @ketab_n

أثار خطابها البليغ مشاعر الشفقة في نفسه، فترفّع عن استغلال موقفها الضعيف ذاك للنيل منها، فقام بتهدئة كلبيه المهتاجين، وطلب منها أن تقترب من النار لكي تحصل على بعض الدفء.

قالت القطة: «أرجو منك أولاً أن تربط كلبيك المهتاجين هذين بهذا الشعر الطويل لأنني أخشى أن يمزقا جسدي المسكين إرباً».

لكن الطبيعة الغريبة لذلك الشعر جعلت الصياد يتردد قليلاً وبدلاً من أن يربط الكلبين به، كما تظاهر بأنه فعل، رماه على العارضة الخشبية التي تصل بين حجرتي الكوخ. ثم اقتربت القطة من النار وجلست القرفصاء كأنها تحاول تجفيف نفسها. لم تكن قد جلست إلا بضع دقائق حين اكتشف الصياد زيادة غير طبيعية في حجمها فلم يستطع الامتناع عن التعليق على ذلك مازحاً بقوله: «موت شنيع لك أيتها الحيوانة القذرة، إنك تزدادين حجماً».

أجابت القطة بمزاح مماثل: «أجل، أجل حالما يمتص فرائي الحرارة حتى يتمدّد بشكل طبيعي».

Twitter: @ketab_n

إلا أن هذا المزاح قاد إلى حوار أكثر جدية، فالقطة التي ما زال حجمها يكبر بلغت أخيراً حجماً غير طبيعي.. وفي لمح البصر حولت نفسها إلى سيدة من لاغان وخاطبت الصياد قائلة: «لقد حانت ساعة حسابك يا صياد التلال، انظر إلي أمامك البطلة المكرسة من شقيقاتي المخلصات اللواتي لطالما ناصبتهن أنت ومكغيليشالوم العداء. لكن رازاي غير موجود بعد الآن. لقد لفظ أنفاسه الأخيرة وهو يرقد الآن جثةً هامدة في أعماق المحيط. والآن قد جاء دورك يا صياد التلال».

بهذه الكلمات اتخذت أبشع وأفظع شكل وقفزت باتجاه الصياد. عندها انقض عليها الكلبان اللذان كانت تعتقد أنهما مربوطان بالشعر الملعون، وتلا ذلك أعنف قتال. وهنا بدأت الساحرة التي هاجمها الكلبان دون أن تتوقع تندم على ثقتها الزائدة بنفسها وأخذت تصرخ: «أحكم وثاقهما أيها الشعر»، معتقدة أن الكلبين ما زالا مربوطين بالشعر لكن الشعر نفذ الأمر وأحكم الربط بحيث كسر في النهاية العارضة الخشبية إلى اثنين. عندما وجدت في النهاية أن الصياد وكلبيه يفوقانها قوّة حاولت التراجع لكن أطبق الكلبان على صدرها بإحكام فلم تستطع التحرر منهما بسهولة. جرّت ساحرة لاغان نفسها إلى خارج

Twitter: @ketab_n

المنزل وهي تزعق وتصرخ جارّة معها الكلبين المطبقين عليها بإحكام دون أن يفلتاها حتى حطمت أنيابهما لتحول نفسها بعد ذلك إلى غراب وتهرب فوق الجبال متجهة إلى منزلها. عاد الكلبان المخلصان مرهقين نازفين إلى سيّدهما وبينما يلعقان يده سقطا أرضاً وفارقا الحياة عند قدميه. كان حزن الصياد على خسارتهما لا يعرفه إلا الأب الذي ينتحب على أولاده الذين فارقوا الحياة. دفن الصياد كلبيه المخلصين وعاد إلى عائلته ومنزله. لم تكن زوجته بالمنزل عند وصوله لكنها سرعان ما حضرت.

سألها الزوج: «أين كنت يا حبيبتي؟».

فأجابته: «كنت أزور زوجة لاغان الطيبة التي أطبق عليها مرض خطير لا يتوقع لها أن تشفى منه».

قال الزوج: «أوه! ما خطب السيدة الفاضلة؟».

أجابت الزوجة: «لقد غابت عن المنزل طوال اليوم وكانت تجمع الخث وفجأة تمكن منها ألم مبرّح نتيجة بقائها مبللة القدمين والآن كل أصدقائها وجيرانها يتوقعون وفاتها».

Twitter: @ketab_n

«يا للمرأة المسكينة!، أنا حزين لأجلها، أحضري لي شيئاً للعشاء فأنا أيضاً يجب أن أذهب لزيارتها». وبعد أن تناول الطعام ذهب الصياد من فوره إلى منزل لاغان ليجد جمعاً غفيراً من الناس يندبون ببالغ الأسى الموت المرتقب لامرأة اعتقدوا جميعاً أنها فاضلة. مشى الصياد إلى سرير السيدة المريضة بسخط يتناسب مع عظمة الموقف وجرّد المريضة من كل أغطيتها. صرخت الساحرة التي كشف أمرها الآن وجمعت كل الحضور حولها. صاح الصياد: «توقفوا، إن المرأة التي تهتمون بها كل هذا الاهتمام ليست سوى ساحرة ملعونة. اليوم فقط أخبرتني بأنها كانت حاضرة لتشهد موت سيّد رازاي ولم تمض ساعات قليلة منذ أن حاولت جعلي ألاقي حتفي مثله. ولكنها هذه الليلة ستتوب عن جريمتها بدفع حياتها الرخيصة ثمناً لشرورها». ليخبر بعد ذلك جميع الناس بما حدث معه وكيف هاجمته وكل ما رواه أكدته العلامات الواضحة على جسدها. اقتنع الجميع بجرمها وكادت أن تحلّ بها العقوبة التقليدية عندما قامت بمخاطبة الجمع قائلةً: «أيها الأصدقاء الناكرون للمعروف. وفّروا على أحد معارفكم القدماء الذي يعاني أصلاً سكرات الموت، أي ذل دنيوي آخر. إن جرائمي وحماقاتي تحدق بي الآن بألوانها الحقيقية بينما يضحك مني الشيطان الوسواس المخادع عدو

Twitter: @ketab_n

مصالحكم الزمنية والروحيّة، في محنتي هذه ويكافئ ولائي له بحجب كل ما هو محبب وتخريب كل ما هو حسن. إنه الآن يوشك أن يسلم روحي لعذابها الأبدي. اجعلوني مثالاً لكل الناس على وجه الأرض فيبتعدوا عن الصخرة القاتلة التي سقطت عليها فشطرتني إلى نصفين. اجعلوني حافزاً قوياً للناس لكي لا يقتربوا منها وبذلك أكون قد تبت عن أخطائي بأفضل طريقة أستطيعها عندما أسرد عليكم قصة حياتي الرهيبة». بعدئذ قامت الساحرة بسرد مطول لقصة ضلالها وأخبرتهم كيف خدمت الشيطان وقصت عليهم كل جرائمها والمغامرات التي انخرطت بها فانتهت بحادثة موت ماكغيليشالوم رازاي وهجومها على الصياد، وفارقت بعد ذلك الحياة.

في تلك الأثناء وبينما كان أحد جيران السيدة عائداً إلى منزله ليلاً من ساراثديرن حيث كان هناك للقيام بعض الأعمال، وكان قد دخل لتوّه غابة مونالیا المخيفة في بادينوخ، التقى امرأة متشحة بالأسود تركض بسرعة فائقة وسألته بقلق كبير كم تبعد الغابة عن مقبرة كنيسة دالاروسي وإذا ما كانت تستطيع الوصول إليها بحلول الساعة الثانية عشرة. أخبرها المسافر بأنها تستطيع ذلك إذا تابعت السير بسرعتها تلك. عندها

Twitter: @ketab_n

انطلقت راكضة على الطريق متمتمة عبارات حزينة قلقة بينما تابع المسافر طريقه إلى بادينوخ لكنه بعد أن مشى بضعة أميال أخرى التقى كلباً أسود ضخماً تجاوزه بسرعة كبيرة كأنه يقتفي رائحة أثر ما أو آثار أقدام. بعد ذلك بقليل التقى كلباً أسود كبيراً آخر يفعل الشيء نفسه. حالما اختفى الكلب الثاني التقى المسافر أيضاً رجلاً مربوع القامة أسود يمتطي حصاناً أسود جميلاً يحث الخطى في الإتجاه نفسه الذي سلكه الكلبان. قال الرجل على الحصان للمسافر: «أرجوك، قل لي هل رأيت امرأة في طريقك من التلّ؟»، فرد المسافر بالإيجاب. فسأله: «وهل رأيت كلباً بعد ذلك مباشرة؟»، فقال المسافر إنه رأى كلباً أيضاً. فأضاف الرجل: «وهل تعتقد أن الكلب سيتمكن منها قبل أن تصل إلى كنيسة دالاروسي؟»، فأجاب المسافر: «سيتمكن بكل الأحوال أن يقترب منها كثيراً». عندها ذهب كل منهما في طريقه. لكن قبل أن يقطع المسافر غلينبانشار أخذه مشهد الرجل عائداً والمرأة التي كانا يتكلمان عنها أمامه على سرج الحصان يمسك أحد الكلبين صدرها والآخر فخذها. سأله المسافر: «أين أمسكت بالمرأة؟»، فأجاب الرجل: «على بعد خطوات قبل أن تدخل مقبرة دالاروسي».

Twitter: @ketab_n

عند عودة المسافر لمنزله سمع بقصة سيدة لاغان الحزينة ما جعله يفهم طبيعة من التقاهم على الطريق. لقد كانت تلك روح سيدة لاغان دون شك تطير إلى مقبرة دولاروسي محاولة كسب الحماية من الأرواح الشريرة التي باعت نفسها إليها لأن المقبرة مكان مقدس يحل الساحرة من كل ارتباطاتها بالشيطان حالما تحج إليها سواء ميته أو حيّة. لكن يبدو أن المسكينة تأخرت كثيراً عن ذلك.

Twitter: @ketab_n

زوجة حذاد ياروفوت

كان لحدّاد ياروفوت منذ بضع سنوات خلت أخوان يتعلمان على يديه حرفة الحدادة وكانوا جميعاً رجالاً أصحاء طيبين. بعد عدة أشهر بدأ الأخ الأصغر يضعف ويشحب وجهه ويفقد شهيته للطعام وبدت عليه أعراض التدهور الصحي. قلق أخوه على صحته وغالباً ما كان يسأله عمّا تسبّب له بالمرض من دون أن يجد أيّ جواب. لكن الأخ المسكين انفجر أخيراً بالبكاء كمداً واعترف بأنه مرهق وسيلقى حتفه قريباً بسبب سوء معاملة زوجته التي هي في الحقيقة ساحرة رغم صعوبة تصديق ذلك. أخذ يروي وهو يجهش بالبكاء: «في كل ليلة تأتي إلى سريري وتضع عليّ رسناً سحرياً فيحولني إلى حصان، ثم تمتطي ظهري وتحثني على الجري لأميال إلى المروج البرية حيث لا يعلم أحدنا أي المخلوقات الشريرة تقيم ولائمها الكريهة. تبقيني هناك طوال الليل وفي الصباح أحملها إلى المنزل فتزيل رسني وها أنا هنا لكنني شديد الإعياء وبالكاد أستطيع التحمّل. وهكذا أمضي لياليّ بينما تغطّون أنتم في نوم عميق».

Twitter: @ketab_n

أعلن الأخ الأكبر من فوره استعداده لقضاء ليلة بين الساحرات فجعل أخاه الأصغر ينام مكانه بمحاذاة الجدار واستلقى هو على فراشه في انتظار الوقت المعتاد لمجيء الساحرة. جاءت الساحرة والرسن في يدها ووضعته على رأس الأخ الأكبر ليتحول في لحظة إلى حصان جميل. امتطت السيدة ظهره وبدأت رحلتها إلى مكانها السرّي الذي كان هذه المرّة قبو سيد من المنطقة المجاورة.

وبينما كانت هي وبقية أتباع الشر يسلّون أنفسهم بالحديث وبالخمور تُرك الرجل في حجرة إضافية بالإصطبل فقام بحك رأسه بالحائط حتى تمكن من إرخاء الرسن ليتمكن أخيراً من نزعه نهائياً وبذلك استعاد طبيعته البشرية. اختبأ بعدها في مؤخرة الحظيرة ممسكا بالرّسن بقوة في يده إلى أن عادت الساحرة إليه وحين أصبحت على مقربة منه وضع بسرعة الرسن حول رقبتها لتتحول إلى فرس رمادية جميلة! امتطاها وانطلق عابراً الأسوار والحفر. لاحظ فجأة بأنها فقدت حدوة من حافريها الأماميين فأخذها إلى أول ورشة حدادة مفتوحة واستبدل الحدوة كما وضع لها حدوة جديدة على الحافر الأمامي الثاني وامتطاها جيئة وذهاباً في حقل

Twitter: @ketab_n

محروث حتى أرهقت تماماً. أخيرا أخذها إلى المنزل ونزع عنها الرسن في الوقت المناسب لتتسلل إلى السرير قبل أن يستيقظ زوجها وينهض إلى العمل.

نهض الحداد المخلص في الصباح كالمعتاد، لا يدري بما جرى طوال الليل لكن زوجته اشتكت من كونها مريضة جدّاً وعلى وشك أن تموت كما تضرعت إليه بأن يرسل في طلب الطبيب. لذلك أيقظ أخويه فخرج كبيرهما في طلب الطبيب وعاد سريعاً بصحبة أحدهم. طلب الطبيب أن يتحسس نبض مريضته لكنها أخفت يديها بإصرار ورفضت أن تدعه يراهما. أصيب طبيب القرية بالحيرة ولكن الزوج الذي فقد صبره من عناد زوجته نزع أغطية السرير ليصاب بالرعب كونه وجد حدوتي حصان مثبتتين بإحكام على كلتا يديها! عند الفحص المستفيض بدا جنباها مليئين بالكدمات من الركل الذي تعرض إليه في جولة الأمس.

عندها جاء الأخوان وقصّا على الحداد كل ما حدث. وفي اليوم التالي تعّرضت الساحرة للمحاكمة من قبل قضاة سيلكيرك وحكموا عليها بالموت حرقاً على صخرة في بلشيوغ. ونُفّذ الحكم فيها دون تردد. يضاف إلى القصة

Twitter: @ketab_n

أن المتدرب الشاب استعاد صحته بأكل الزبدة المصنوعة من حليب الأبقار المرعيّة في كيركياردز وهوعلاج فعّال للشفاء من آثار الاستغلال الذي تعرّض له نتيجة ركوب الساحرة على ظهره.

Twitter: @ketab_n

طحّان هولدين

بينما كان طحان هولدين في بيرويكشاير يجفف طحين الشوفان الذي يعود لأحد جيرانه المزارعين، وقد كان مرهقاً من عمل النهار، ارتمى على بعض القش قرب الفرن وسرعان ما غط بالنوم. بعد برهة أيقظه خليط من الأصوات وكأن جوف الفرن كان مملوءاً بأناس يتكلمون في آن معاً، عندها أخرج القش من حواف الفرن ونظر إلى الأسفل ولاحظ عدداً من الأقدام والأرجل العارية تمشي بين الرماد كأنها تستمتع بدفء النيران الخامدة. وحين أصاخ السمع استطاع تمييز هذه الكلمات: «ما رأيك بقدميّ الصغيرتين؟»، وصوت آخر يجيب: «وما رأيك أنت بقدميّ؟»، لم يخف ذلك الطحان بقدر ما أدهشه. فأخذ مطرقة خشبية كبيرة وأهوى بها عليهم فتطاير الرماد حولهم، في حين صرخ بهم: «ما رأيكم بمطرقتي بين أرجلكم؟».

Twitter: @ketab_n

خرج عندها جمع مخيف من الكائنات من الفرن وسط صراخ وزعيق تحوّل إلى ضحك هستيري لتصل أخيراً إلى سمع الطحان هذه الكلمات مغنّاة بسخرية:

«ها! ها! ها!

ها! ها! ها!

الطحّان المبدع قام بتسليتنا

لولا ذلك لكنا سرقنا حظّه

لسبع سنوات قادمة

ولأجرينا الماء غزيراً

بينما هو نائم».

Twitter: @ketab_n

رونالدسن بودين

يُحكى أن رجلاً يدعى رونالدسن عاش في قرية بودين قد التقى مرات عدة ساحرات المنطقة. وفيما يلي أحد تلك اللقاءات.

ذات فجر، ومع شروق الشمس وبينما كان يعقد رباط حذائه إلى جانب قناة واطئة ذعر حين شعر بأن شيئاً كحبل من القش يمر بين ساقيه وشعر أنه حمل على الحبل بخفة إلى جدول عند سفح هضبة في أقصى جنوب إيلدن. وحين سمع ضحك خليط من الأصوات الأجشة أدرك بأنه تحت سيطرة الساحرات أو الأرواح. انتظر حتى وصل إلى مخاضة في النهر تدعى «السفينة الحجرية» وعندما شعر أن قدميه لامستا صخرة كبيرة صاح: «باسم الرب، سوف لن تقتادوني أبعد من هذا!» وفي تلك اللحظة انقطع الحبل وشق الفضاء صوت يشبه صوت ضحك آلاف الأشخاص. ثبت الرجل قدميه بقوة على الصخرة وسمع غمغمة تقول: «تباً! لقد خسرنا هذا الأحمق!».

Twitter: @ketab_n

زوجة المزارع من ديلوراين

لا ذكر للسحر في القصة التالية ولكن من المحتمل ألا نجانب الصواب إذا افترضنا بأن السحر يلعب دوراً فيها. قبل أن نبدأ قصتنا يجب أن نذكر أنه كانت هناك عادة، بل ربما ما زالت موجودة، في منخفضات اسكتلندا كما في غيرها من المناطق المعزولة أن يترك الخياطون ورشاتهم ليذهبوا إلى المزارع المجاورة ويعملوا هناك نهاراً. وقصتنا تحكي حادثة من هذا النوع، فقد قامت زوجة المزارع من ديلوراين باستخدام خياط مع عمّاله والمتدربين لديه ليعملوا لديها نهاراً وتوسّلتهم أن يحضروا في الصباح الباكر وهذا ما فعلوه وشاركوا العائلة إفطارها المكون من الحليب والحبوب. لاحظ أحد المتدربين في أثناء الوجبة أن وعاء الحليب يكاد يفرغ مما جعل سيدة المنزل تخرج من الباب الخلفي حاملة وعاء في يدها لتحضر المزيد. ولأن الفتى سمع أنه لا يوجد المزيد من الحليب في المنزل زاد فضوله وجعله يتبع المرأة خلسةً ويختبئ

Twitter: @ketab_n

خلف الباب ليشاهدها تدير مسماراً في الحائط فيجري حليب صاف يصبّ في الوعاء. عندما أدارت المسمار مرة أخرى توقف الحليب ثم عادت إلى الغرفة لتقدم الحليب إلى الخياطين الذين قاموا بصب الحليب بسرور فوق وجبتهم.

عند الظهيرة وعندما كان خياطونا مشغولين بملابس صاحب المنزل اشتكى أحدهم من الظمأ وتمنى الحصول على وعاء من الحليب كالوعاء الذي حصلوا عليه في الصباح فقال له المتدرّب: «هل هذا كل ما تريده؟ لك ذلك؟» لم تكن السيدة موجودة لذا ترك المتدرب عمله ووجد طريقه إلى المكان الذي شاهده صباحاً فأدار المسمار وسرعان ما امتلأ الوعاء بالحليب.

ولكن لسوء حظه لم يستطع ايقاف تدفق الحليب مهما أدار المسمار وبقي الحليب يتدفق. نادى المتدرّب على الفتية الآخرين ورجاهم أن يأتوا لمساعدته ولكن كل ما استطاعوا فعله هو إحضار كل الأوعية والأباريق التي وجدوها في المطبخ فامتلأت جميعها بسرعة.

عندما كانت الفوضى في أوجها ظهرت السيدة بينهم كالبرق صارخةً بسخرية: «أأنتم مجانين؟ لقد جمعتم الحليب

Twitter: @ketab_n

من كل بقرة بين قمة يارو وقاعها. لن تدر أي بقرة الحليب لصاحبها اليوم حتى لو مات جوعاً».

عندها تراجع الخياطون بخجل ومنذ ذلك اليوم لا تقدم الزوجات في ديلوراين للخياطين طعاماً إلا شرائح البطاطا واللفت.

Twitter: @ketab_n

اللورد هاري جيليس

كان اللورد هاري جيليس من ليتلدين مولعاً بالصيد بشكل غير طبيعي. وذات يوم كانت كلاب صيده تلاحق أرنباً، فتوقفت عن المطاردة فجأة، فغضب غضباً شديداً وأقسم بأن الحيوان الذي اصطاده لابد من أن يكون أحد سحرة ماكستون. ولم يكد يكمل كلمته حتى أحاطت به الأرانب من كل حدب وصوب. اقتربوا منه كثيراً لدرجة أن بعضهم قفز على سرج جواده أمام عينيه مباشرة. ولكن لا تزال كلابه محجمة عن مطاردة الأرانب. وفي حمأة حنقه قفز عن حصانه وأردى جميع الكلاب ما عدا الكلب الأسود الذي استدار في تلك اللحظة ليلحق بأرنب كبير. عاد وامتطى حصانه واستأنف ملاحقة طرائده، ورأى الكلب الأسود قد غير اتجاه الأرنب الكبير وقاده باتجاهه مباشرة. قفز الأرنب وكأنه يريد قطع عنق حصانه، ولكن اللورد أمسك ببراعة بإحدى قائمتيه الأماميتين، واستل سكين صيده وقطعها. وعندها اختفت جميع الأرانب من حوله.

Twitter: @ketab_n

في الصباح التالي سمع اللورد هاري أن امرأة من ماكستون فقدت ذراعها في حادث، فذهب مباشرة إلى منزلها وسحب من جيبه قائمة الأرنب (والتي كانت قد تحولت إلى ذراع امرأة) ووضعها مكان العضو المبتور. فكانت تماماً على مقاسه. وعندها اعترفت المرأة بجريمتها وقام شبان ماكستون بإغراقها في اليوم نفسه في البئر.

Twitter: @ketab_n

الشبكة المفقودة

قبل زمن، حين كنت أزور أحد معارفي القدماء من الأبرشية، وقد كان نساجاً يدوياً، جلس مضيفي يحدثني عن الأيام الخوالي، ومن بين الأشياء التي حدثني عنها كانت قصة الشبكة المفقودة.

منذ سنوات مضت وذات مساء صيفي لطيف، كانت شبكة من الكتان قد وضعت لتجف وتبيّض على ضفة النهر على مسافة قدم من الكنيسة. اختفت الشبكة فجأة. يبدو أن الرجال كانوا «يحرقون النهر» أي يصيدون السلمون على ضوء المشاعل. أما الرجل المسؤول عن حماية الشبكة فقد ذهب ليتفقد صيد السلمون وعند عودته كانت الشبكة قد اختفت. بالطبع ترك اختفاء الشبكة أثره، فسرعان ما انتشرت القصة على كل لسان وساد الارتياب والشك في نفوس عدد من الأشخاص بعدد ما في الشبكة الكتانية من اليارادات.

كانت الشبكة ملك شخصية مهمة هي قابلة القرية التي لم تكن لتسكت على الخسارة. ولهذا فقد لجأت إلى مساعدة رجل حكيم من ليثولم.

Twitter: @ketab_n

وفي اليوم التالي أخبرت صديقها النساج- محدثي- بأنها اكتشفت اللص الذي سرق الشبكة فقد قام الرجل الحكيم بحل اللغز.

ومدفوعاً بالقلق والفضول أراد النساج أن يرى السحر، فاستدعت القابلة الرجل الحكيم إلى بيته الذي أوصد من الداخل وبدأ الساحر بإجراءاته.

تناول مفتاحاً صغيراً وربطه بخيط وربط الخيط بكتاب مقدس تملكه الأسرة ووضع الكتاب في مكان محدد تاركاً المفتاح يتدلى منه. ثانياً، قرأ فصلين من الكتاب المقدس أحدهما كان تاريخ شاوول وساحرة إندور[1]، ثم طلب من القابلة وشخص آخر أن يثبتا المفتاح بينهما برأسي سبابتيهما ثم طلب من القابلة أن تذكر أسماء كل المشتبه بهم.

تم تسمية الكثير من الأشخاص، ولكن المفتاح ظل ثابتاً بين الأصابع وعندما صاح الرجل الحكيم: «لماذا لم تذكري اسم جوك ويلسون؟» فذكرت الاسم في الحال، ومباشرة سقط المفتاح. وهكذا انتشر الخبر في كل أرجاء البلدة بأنه عرف اللص!

(1) قرية في جنوب شرق الناصرة جاء ذكرها في سفر يشوع في الكتاب المقدس (م)

Twitter: @ketab_n

ولكن ثبت لاحقاً أن جوك ويلسون لم يكن ليحتمل مثل تلك التهمة وبما أنه ومن غير شك رجل شريف صرح بأنه لن يقبل أن يتهم باللصوصية من قبل الشيطان. فذهب واستشار محامياً ولكن بعد جلسات نقاش طويلة ماتت القصة. ويقول محدثي -النساج- ساد اعتقاد أنه رشا المحامي لكي يشهد معه.

Twitter: @ketab_n

ساحرات ديلانبو

في زمان جدتي، كانت مزرعة ديلانبو مقسمة بشكل متساو بين ثلاثة مستأجرين. وكانوا جميعهم في البدء ميسوري الحال، وبمرور الزمن وبشكل ملحوظ من الجميع وجد أحد المستأجرين نفسه يزداد فقراً يوماً بعد يوم بالرغم من تفوقه في عمله، في حين كانت أحوال جاريه الاثنين تتحسن بشكل يومي.

كانت زوجة المستأجر الفقير حزينة جراء هذا الحظ السيء الذي حل بعائلتها مقارنة بالحال المزدهرة لجاريها، واعتادت أن تتذمر معبرة عن استغرابها، ليس فقط لأصدقائها المقربين ولكن أيضاً لزوجتي الجارين .

وفي إحدى المناسبات، سألتها جارتاها، ما الذي ستفعله لتحسين ظروفها لو كان الأمر عائداً لها؟ فأجابتهما بأنها سوف تفعل أي شيء مهما تطلب الأمر (وهنا دار في خلد الزوجتين أن السمكة علقت بالطعم، وقررتا فوراً أن تجعلاها مستودع أسرارهما).

Twitter: @ketab_n

قالت إحدى الزوجتين «حسناً إذن إذا رضيت بأن تتكتمي على حواراتنا بشكل مطلق وقمت باتباع إرشاداتنا بحذافيرها، فإن الفقر أو الحاجة لن يطرقا بابك بعد اليوم».

هذه الجملة من الزوجة الأخرى تركت عند زوجة الرجل الفقير تأثيراً فورياً ترك لديها شكاً قوياً بماهية شخصيتيهما الحقيقيتين، ومخفية شعورها بالدهشة للوضع الذي آلت إليه الظروف، وعدتهما بأن تطيع جميع شروطهما.

بعد ذلك تلقت التعليمات، بأنه عندما تخلد إلى النوم في ذلك اليوم عليها أن تحمل معها مكنسة الأرض المعروفة بخصائصها السحرية، وأن تضعها مكانها في السرير إلى جوار زوجها خلال الليل، وعليها أن تضعها بطريقة تبدو وكأنها هي نائمة في سريرها فلن يستطيع زوجها التمييز بينها وبين المكنسة في الصباح. وفي الوقت نفسه أمرتاها أن تتخلى عن كل مخاوفها حول احتمال أن تكتشف العملية، ذلك أن زوجيهما كانا راضيين بهاتين البديلتين الجميلتين (المكنستين) طوال سنوات وسنوات.

بعد ترتيب الأمور على هذا النسق، كان المطلوب منها أن ترافقهما في منتصف الليل إلى ذلك الموقع الذي سيمكنها من تحقيق سعادتها المستقبلية .

Twitter: @ketab_n

استأذنت زوجة الرجل الفقير منهما واعدة باتباع تعليماتهما، لكنها كانت مسكونة بتلك الأحاسيس المرعبة التي تنشأ في العقل المحب للفضيلة جراء التفكير بإمكانية اكتشاف مثل هذا الفعل الشرير.

دار في خاطر الزوجة وهي مسرعة للعودة إلى المنزل للقاء زوجها، أن الإخلال بوعدها للجارتين الخبيثتين ليس جريمة كبيرة، مقابل أن تتصرف بما يمليه عليها ضميرها كزوجة ملتزمة وحسنة التدبير، فأخبرت زوجها بكافة تفاصيل لقائها معهما.

أطرى الزوج كثيراً على إخلاص زوجته ومباشرة وضعا خطة بديلة تعكس مستوى عال من الحنكة. فقد اتفقا على أن يقوم الزوج بتبادل ثيابه مع زوجته، والذهاب متخفياً بهذه الملابس مع الزوجتين إلى المكان المتفق عليه، ليرى ما هي الخدعة السحرية التي أرادتا أن تمارساها.

بعد أن ارتدى ملابس زوجته، قام في منتصف الليل لينضم إلى الجارتين في المكان المتفق عليه، وقد استقبلت «العروس» -كما أطلقتا عليه- بحفاوة بالغة من سيدتي المكنسة اللتين هنأتا «العروس» بحرارة على حظها الحسن والتحقيق الوشيك لسعادتها. ومن ثم قدمتا إليه مشعلاً ومكنسة وغربالاً، وأشياء

Twitter: @ketab_n

أخرى كانت بحوزتهن. ثم مضوا على طول ضفة نهر آفون حتى وصلوا إلى موضع يعرف باسم «الصخرة الوعرة» وعبروا منه إلى الضفة الأخرى من النهر.

ومن ثم أدركت أبصارهم الموضع الذي يعرف باسم «بركة الطيور»، ويا للهول! تراءى أمامهم مشهد لم تره عين بشر من قبل! ظهرت البركة وكأنها كانت بالفعل مغلفة بلهيب من النار، وقد توهجت المشاعل عالياً في الهواء، عاكسة أشعتها على الأشجار الشاهقة لغابات لينخورك.

وسمعوا ما لا يمكن لأي أذن أن تتحمله من الصراخ والزعيق اللذين كانا يصدران عن الجموع الرهيبة المنخرطة في هذا الاحتفال الأسطوري المتطرف، وهذه الجلبة كانت رغم ذلك بمثابة الموسيقى العذبة بالنسبة إلى الجارتين، فكل صرخة كانت تشعرهما بمتعة تفوق الحدود.

وهكذا تقافزتا مبتعدتين مخلفتين وراءهما «العروس» الودودة على مسافة بعيدة، لأنه لم يكن في الحقيقة على عجلة للوصول إلى الموقع. وعندما وصل إلى المكان عزم أن يبقى مشاهداً لا أكثر، وليس مشاركاً في ذلك العرض الليلي.

Twitter: @ketab_n

عند وصوله إلى طرف البركة شاهد ما كان يجري: رأى العديد من العرافات يقدن أنفسهن جيئة وذهاباً بواسطة عصيهن (مكانسهن)، زاعقات ومزمجرات بشكل أفظع من الغيلان وكل واحدة منهن تمسك في يدها شعلة من النار، وفي أحيان أخرى يلتففن على أنفسهن على شكل صف ويقدمن انحناءات الطاعة الكلية إلى كلب كبير بشع جاثم على صخرة شديدة الارتفاع، والذي كان من دون شك «اللص الأكبر»، والذي كان يعبر عن سروره بما يتلقاه من طقوس الولاء والإخلاص، بالانحناء والابتسام ابتسامة عريضة والتصفيق بمخلبيه.

بعد أن وجهتا للعروس بعض التعليمات الأولية، طلبت الزوجتان المتلهفتان منها البقاء قرب البركة حتى تتمكنا من التواصل مع الشيطان فيما يخص قبولها رسمياً، وفي الأثناء عليها أن تساعدهما وتسرّع رحلتهما عبر الدعاء لسيدهما. وحالما شرعتا في رحلتهما، متلويتين يميناً وشمالاً على مكنستيهما لتصلا إلى عمق لا بأس به من الماء، قال هو: «اذهبا باسم الأخيار»، تبع ذلك صرخة رهيبة من الساحرتين أعلنت عن مصيرهما الفوري، فقد حلت الرقية السحرية وتحطمت الأحجيات، وغرقت الساحرتان في قاع البركة،

Twitter: @ketab_n

وسط زعيق «اللص الكبير» ومجموعته الجهنمية، الذين لم تستطع قوتهم مجتمعة إنقاذهم من تلك تلك العاقبة.

انطفأت جميع المشاعل في ثوان قليلة، وشرعت الجموع المرعوبة بالفرار في اتجاهات مختلفة، في الأشكال والطرق المتشابهة التي ارتأوا أنها الأنسب لهم اتباعها، وعادت الزوج الماكر إلى المنزل متهادياً، مسروراً بالطريقة الذكية التي نفذ بها تعليمات جارتيه الخبيثتين.

عند وصوله إلى منزله قام بتبديل ملابسه ومن دون أن يغذي مباشرة فضول زوجته بإخبارها بتفاصيل رحلته، اقتاد قطيعه واستهل عمله الصباحي بقليل من الاكتراث كعادته، ومثله فعل جاراه الآخران اللذان لم يكونا حتى واعيين لغياب زوجتيهما (اللتان كانتا مستبدلتين بكل اقتدار بمثيلتيهما المكنستين).

مع ذلك، ومع حلول وقت الفطور، لم تكن صدمة الجارين قليلة عندما لم يلحظا أي علامة على نهوض زوجتيهما من النوم، وصارحا جارهما بدهشتهما. فعلّق الأخير تعليقاً حاذقاً بأن لديه شكوكاً كبيرة بأن تنهضا طوال اليوم.

ردا عليه: «وما الذي تعنيه بذلك؟».

Twitter: @ketab_n

«لقد تركنا زوجتينا بأحسن حال عندما نهضنا من النوم» .

«حاولا أن تعثرا عليهما الآن».

ركض كل منهما إلى فراشه، وكم كانت دهشتهما عظيمة حين وجدا مكنستين رثتين بدلاً من زوجتيهما.

ثم أخبرهما جارهما بأنهما إذا بحثا جيداً في «بركة الطيور» فسوف يجدان زوجتيهما العزيزتين هناك. وهكذا انطلق الزوجان المفجوعان إلى هناك، وباستخدام الأدوات المطلوبة قاما بسحب شريكتيهما الغاليتين من البحيرة، وبعد ذلك دفناهما بسرية.

كانت المكنستان المتحطمتان لهاتين الزوجتين سيئتي الحظ كافية للرجلين كدليل على الكيفية التي لاقتا بها حتفهما، وهكذا ماتتا إلى الأبد ولم يأت أحد بعدها على ذكر اسميهما.

وبداهة القول إن الرجل المفتقر استعاد ثروته تدريجياً، خلال فترة قصيرة، بل إنه صار أكثر ثراء من ذي قبل.

Twitter: @ketab_n

الحذاء النحاسي

في ذلك المساء من أواخر الربيع اجتمع حشد من الناس في حفلة غريبة في منزل المزارع الشاب جيلي ماكدونالد في ملتقى العشاق في«انفيراري» ثم عادوا جنوباً إلى ديارهم.

ورغم أن الطقس كان صحواً صافياً في ذلك المساء إلا أنه كان بارداً نوعاً ما، لأن الشتاء لم ينته بعد، لذا لم يكن أحد ليقوى مهما كان معتدّاً بنفسه على عدم الانضمام إلى الدائرة حول المدفأة والحصول على قسط من الدفء.

كان بين الحشد صياد سمك من ستراثلاشلان، وبائع ماشية من كيلمون، ومزارعان من الجنوب البعيد قرب بوت، وتاجر من روثيساي وبائع متجول يمكنك أن تختار له المكان الذي يعجبك ليأتي منه لأنه دائماً على الطريق من مكان إلى آخر.

كان لدى كلّ منهم الكثير ليخبره عن نفسه، عن حظه أو عن لقائه حبيبته، وكانوا صحبة مسلية. لكن أفضلهم في

Twitter: @ketab_n

الأحاديث والأخبار كان بلا شك البائع المتجول الذي جلس وسط المجموعة على مقعد ثلاثي القوائم وكان لديه دائماً أجوبة ونصائح للجميع.

تحوّل الحديث كما هو متوقع – بما أنهم جميعاً ممن يبيعون ويساومون– إلى الطريقة التي قد تكتسب فيها الثروة أو تضيع، فأدلوا جميعاً بدلوهم في هذا الموضوع وبدا كل واحد منهم مقتنعاً بأنه صاحب الرأي الأفضل، لكن ما قاله البائع المتجول قبل أن ينفض جمعهم ذاك المساء، كان الوحيد الذي تذكره جيلي ماكدونالد أو على الأقل الذي اعتبره يستحق أن يُسمع.

أجاب البائع عند سؤاله ماذا يمكن أن يفعل ليجمع ثروة، أنه لو كان رجلاً أكبر حجماً، وأكثر شباباً وقوّة لعرف المكان الذي يمكن للباحث أن يجد الثروة فيه، وبأن ذلك يتطلب جرأة وشجاعة وروحاً مغامرة، وهي بالضبط الخصال التي لا يمتلكها. لذلك فمن الأفضل له الحفاظ على مهنته كبائع جوّال في كل الأحوال.

بعد أن بدأ الجميع بالاستعداد للإيواء إلى النوم لمس جيلي ماكدونالد كمّ البائع الجـوّال بلطف وطلب منه أن يتفضل بالانتظار لحظة بعد أن يغادر الجميع لأنه يريد أن يسأله عن أمر ما على انفراد.

Twitter: @ketab_n

كان من بواعث سرور البائع الجوال تلبية رغبة مضيف لطيف مثل جيلي ماكدونالد فأجاب بأنه سيفعل ذلك بالتأكيد.

لذلك عندما خلا المكان جذب جيلي البائع الجوال باتجاه المدفأة ورجاه أن يجلس وأن يخبره إذا كان صحيحاً ما رواه عن الثروة التي تنتظر صاحب القلب الشجاع والروح المغامرة لكي يحصل عليها.

أجابه البائع الجوال: «آه! هل هذا هو الموضوع؟ حسناً المكان الذي أقصده موجود على الجانب الغربي من كنتاير والرحلة إلى هناك تستغرق يوماً من هنا على ظهر الخيل. بعد عبور أطراف غابة تاربت تقع قلعة تايشرونان التي يسكنها شيخ شرير معروف بثرائه الفاحش، وهذه ليست مجرّد شائعة، بل إني متيقن من أن لديه كنزاً مدفوناً في بئر الحديقة، فقد رأيته بعينيّ هاتين يجرف النقود والقطع الذهبية كأنها مجرد حبات بطاطا منذ مجرّد شهر مضى. كنت أود لو استطعت أن آخذ القليل منها ولكنك تعرفني، فأنا شخص صغير مسكين وقد ارتعبت من الشيخ، الأمر الذي منعني من أن أقدم على شي كهذا. لا تعتبر كلامي هذا تشجيعاً على السعي وراء هذا الكنز لأنك ميسور الحال ولا يمكن أن ترغب بأكثر مما لديك. سأحزن لأجلك لو وقعت بين

Twitter: @ketab_n

مخالب العجوز الشرير لأن الكثير من الصفات الشريرة تنسب إليه، كما يقال إنه ليس أنانياً وبخيلاً فحسب، بل ساحراً قوياً وعنيفاً أيضاً. فلتصبح على خير الآن». ومضى البائع إلى فراشه.

في الصباح غادر المزرعة جميع ضيوف الليلة السابقة شاكرين مضيفهم وذاهبين كلّ في حال سبيله.

بدأ البائع الجوال رحلته مع صياح الديكة لكي لا يدع فرصة لجيلي لاستجوابه مرة أخرى عن القلعة والكنز الذي حلم به طوال الليل واستيقظ صباحاً مصمماً على الاستقصاء عنه، وإن أمكن الحصول عليه.

وهكذا شغل نفسة طوال اليوم بترتيب أمور مزرعته وإعطاء التعليمات لرئيس خدمه بفعل هذا الأمر وذاك في أثناء غيابه، وبفعل كذا وكذا في حال لم يعد من رحلته، وحالما انتهت هذه التحضيرات انطلق صباح اليوم التالي على صهوة فرسه الشهباء إلى أقرب عبّارة على ضفة بحيرة فاين.

عبر البحيرة بنجاح، فالطقس كان ملائماً في ذلك الوقت من العام بينما ساعد النسيم الخفيف والسماء المشمسة على تزويده بأفضل المعنويات لمغامرته تلك.

Twitter: @ketab_n

كان هناك مهرجان في تاربرت عندما وصل إلى هناك. فصدحت الموسيقى في كل مكان وامتلأ الشاطئ بالرقص، واجتمع الناس من القرى المحيطة، بينهم المغنون ولاعبو الألعاب البهلوانية الذين كانوا يجنون رزقهم بممارسة مهاراتهم.

لفت نظر جيلي قزم لم يستطع الكف عن مراقبته. كان القزم يقوم بثلاث أو أربع شقلبات بهلوانية على الرصيف القاسي دونما توقّف، وكان بإمكانه فعل ذلك إلى الأمام وإلى الخلف فرحاً بما يرميه له المتفرجون من نقود- مهما كانت قليلة - داخل قبعته بعد كل عرض.

من بين آخرين اقترب القزم من جيلي أيضاً.

قال جيلي: «إذن! لابدّ أن ترضى بالقليل من النقود يا صديقي الصغير إذ لا يمكنني أن أعطيك المزيد فكلانا يبحث عن الثروة بطريقته الخاصة كما أعتقد».

فأجابه القزم: «وكيف ذلك يا صديقي؟ أين وكيف تبحث أنت عن الثروة؟».

فردّ عليه جيلي بقوله: «بقلب شجاع وذراع قوية، أتمنى أن أحصل على ثروتي بالبحث عنها». ثم عبر الشارع.

Twitter: @ketab_n

ركض القزم خلفه قائلاً: «انتظر! أين قلت إنه يمكن للباحث عن الثروة أن يجدها؟».

لم يرق لجيلي مكدونالد أن يستجوبه أحد أكثر من ذلك، وفي الحقيقة انتابه الغضب لكونه انقاد إلى التكلم عن مغامرته أصلاً ولكنه لم يرغب بأن يكون وقحاً مع ذلك الحشري الصغير فقال له: «حسناً هذا المكان ليس ببعيد، بعد التلال وإلى الغرب منها. أتمنى لك ليلة سعيدة».

أجاب القزم: «ليلة سعيدة!».

وأخذ جيلي يفكر كيف بدت الطريقة التي نطق بها القزم هاتين الكلمتين غريبة وكيف أنها لسبب ما لم تعجبه أبداً، لكنه سرعان ما نسي كل شيء والفضل في هذا يعود إلى الصحبة الجيدة والممتعة في النزل حيث كان المضيف صديقاً قديماً له جعله يمضي الليلة بسهولة.

في اليوم التالي استيقظ باكراً بحماسة وأسرج فرسه وقدم لها وجبة جيدة لأن أمامها رحلة طويلة، كان يأمل أن يصل إلى قلعة تايشرونان قبل حلول الليل حتى يتمكن من إلقاء نظرة على الجوار ويكتشف أين يقع البئر دون أن يعرف الشيخ بذلك.

Twitter: @ketab_n

بينما هو سارح بأفكاره ترك الفرس تسرح كما تشاء دون أن ينتبه للاتجاه الذي تسير فيه ليستيقظ من شروده على صوت صفير صغير بجانبه، أذهله كون الصوت مألوفاً بشكل غريب. نظر للأسفل ليدرك أن رجلا قصيراً يمشي بجانبه ووجهه يشبه تماماً وجه القزم الذي رآه في المهرجان في اليوم السابق.

لكنه فكّر بأنه لا يمكن أن يكون الشخص نفسه لأن قزم المهرجان كان قصيراً جداً وأحدب الظهر بينما هذا الشخص لم يكن أكثر من رجل قصير. مع ذلك كانت له الحدبة ذاتها على ظهره والأنف الأحمر نفسه وكذلك النظرة الغريبة التي ميزت القزم الذي التقاه في المهرجان. أجل، له الصوت نفسه أيضاً، لكنه الآن أقوى وأعلى.

قال القزم: «سعدت بلقائك».

فأجابه جيلي: «وأنا أيضاً».

قال الرجل القصير: «يبدو أننا رفيقا درب».

فأجابه جيلي: «في الوقت الحاضر، نعم». ثم حثّ فرسه لتسرع أكثر.

Twitter: @ketab_n

فناداه القزم قائلاً: «قد نلتقي مجدداً بعد قليل».

هذه المرة جعلت هذه الجملة جيلي يضحك لمجرد التفكير بأن مخلوقاً معوقاً قد يلحق به مجدداً. لكن شيئاً في ذلك القزم لم يعجبه، ولم يشعر بالارتياح إلى أن قطع ميلاً مبتعداً عنه فلم يعد يراه.

كان الوقت زهاء الظهيرة عندما كان جيلي يمتطي فرسه بهدوء، بعد أن التزم الطرق السهلية العالية لأميال عبر جانب من الطريق العام ينحدر بسرعة باتجاه البحر قبالة شاطئ روناشان، وكم كانت دهشته كبيرة بسماع الصوت المألوف يناديه مجدداً. وقبل أن يستعيد روعه رأى الوجه القبيح نفسه يطل من وراء شجرة صفصاف قزمة تنمو جذورها الملتوية بكل الاتجاهات فتبدو كالأفاعي بين الأحجار.

قال له المخلوق القبيح: «سعيد بلقائك» لكن من خاطبه هذه المرة كان رجلاً كامل النمو في مثل حجمه تقريباً رغم أن جيلي لم يكن رجلاً قصيراً على الإطلاق!

لم يصدق جيلي ماكدونالد عينيه! كان الأنف الأحمر الطويل نفسه والعينان الزائغتان ذاتهما والظهر المحدودب نفسه بيد أن المخلوق كان أطول بستة أقدام. لا يعقل أن يكون الشخص نفسه

Twitter: @ketab_n

لكن ثمة شبهاً غريباً بالقزم الذي التقاه في تاربيرت ومجدداً كان أكيداً أنه الشخص نفسه .

كونوا على ثقة بأن هذا اللقاء لم يسعده مطلقاً. حتى فرسه المطيعة اتجهت بعيداً بينما كان هذا المخلوق يخطو نحوه. لكن جيلي اعتقد أنه لا ضير في قليل من اللباقة فتمنى له يوماً سعيداً كما فعل من قبل.

قال الكائن: «يبدو أننا رفيقا درب». وحول عينيه القبيحتين بشكل مخيف.

أجابه جيلي: «في الوقت الحاضر. لكن عليّ أن أهرول مسرعاً»، وساط الفرس حاثاً إياها على الإسراع.

أجابه الرجل: «ربما نلتقي مجدداً بعد قليل».

لم يواجه جيلي صعوبة في جعل الفرس تخب بسرعة على الطريق لكنه لم يستطع أن يتخلص لبعض الوقت من الشعور الغريب المزعج الذي انتابه، إلا أن معنويات الشباب لا تحبط بسهولة، وهكذا وقبل مضي ساعة من الوقت كان جيلي يدندن بمرح دون اكتراث كالسابق.

Twitter: @ketab_n

كانت الطريق من باوشروي إلى تاينلون طويلة كما يعرف كل من قام بهذه الرحلة من قبل. قبل أن يحل المساء، رأى طريقاً طويلة ممتدة أمامه بحيث بدا أمامه كل شيء بوضوح.

قال جيلي لنفسه بعد أن ألقى نظرة على الطريق: «من المضحك أن يقوم الناس بزرع شجرة في منتصف الطريق! إنهم يفعلون أشياء غريبة في هذا الجزء من البلاد». حيث بدا له لبرهة وجود شجرة سرو فتية منتصبة أمامه. ولكن لكم أن تتخيلوا مقدار دهشته حين رآها تتحرك بالاتجاه الذي يسير فيه. فرك عينيه بقوه معتقداً أن ذلك قد يكون مجرد وهم بصري سببه الضوء والظلّ. لا يمكن أن يكون إنساناً! بل إنه إنسان! عندها مرت أمام عينيه سريعاً الأحداث التي مرت به في ذلك اليوم، وشهر بالثقة أن الشجرة ما هي إلا أحد الأشخاص المزعجين ذاتهم الذين تمنى أن يتفاداهم.

عندها قال جيلي: «سأعود من حيث أتيت!» وسحب رسن فرسه باتجاه العودة، حين سمع الصوت الذي بات يعرفه جيداً: «سعيد بلقائك».

ردّ عليه جيلي: «وأنا أيضاً». إلا أنه كان يرتجف من رأسه لأسفل قدميه.

Twitter: @ketab_n

فقال له الرجل الطويل: «أرجوك تفضل بالمرور فما أنت إلا من رفاق الدرب». وأدار عينيه الحولاوين واهتز أنفه الطويل الأحمر بشكل مرعب.

فأجابه جيلي مجاملاً: «في الوقت الحاضر نعم ولكن عليك أن تعذرني فأنا على عجلة من أمري»، وحث فرسه لتتجاوز المخلوق الغريب لأن العودة الآن كانت أسوأ من المضي إلى الأمام.

ناداه الرجل قائلاً: «قد نلتقي مجدداً».

أسرع جيلي على الطريق المستوية رغبة منه في أن يترك أكبر مسافة ممكنة بينه وبين ذلك المخلوق المريب.

لم يغب عن بال جيلي هذه المرة الظهور الغريب أو الملاحظة التي رماها المخلوق بقوله إنهما سيلتقيان مجدداً، لذلك توقع ظهور شيء غريب عند كل منعطف، بل وتحت كل صخرة اعتقد أنه يرى الشكل المرعب مختبئاً ومستعدّاً للقفز أمامه. أصبح المساء أكثر ظلمة مما زاد من مخاوف جيلي.

غابت الشمس وأضاء شعاع القمر المكان المظلم مما جعل كل شيء يبدو أكبر وأكثر غموضاً مما كان يبدو خلال النهار. فاتخذت الأشجار على جانبي الطريق أشكالاً غريبة وبدت تمد

Twitter: @ketab_n

أذرعها على الدرب استعداداً للإمساك به، ومع كل صوت من أصوات الريح بات يسمع ذلك الصوت المألوف الشبيه بنقيق الضفادع، ومع كل صدى لصوت حوافر فرسه كان يسمع وقع خطى خلفه.

فجأة وصل إلى بقعة من الطريق لا مخرج منها، تحيط بها صخور من كل اتجاه، لكنه أخذ يفكر: «لابد من وجود مخرج ما وإلا لما قادتني الطريق إلى هنا». وتابع على ظهر فرسه المسير في الظلمة، حتى جعل صوت ارتطام مفاجئ فرسه تجمح وتشبّ في الهواء رامية سيدها إلى أسفل الطريق صارخاً برعب.

سمع جيلي الصوت الذي أصبح يعرفه جيداً يقول له من مكان ما فوقه: «سعيد بلقائك». بينما كان ممدداً على الطريق مغطى بالكدمات، رأى في ضوء القمر جثة عملاقة تسد الطريق الممتدة بين كتلتي الصخور بأكملها.

قال الصوت مجدداً: «سعيد بلقائك، لكنك لا تملك ردّاً لبقاً تقوله لي كما في السابق على ما يبدو».

ولأن جيلي مكدونالد كان مرعوباً فقد عقد الخوف لسانه ولم يستطع أن يردّ.

Twitter: @ketab_n

فتابع الرجل: «قلت لك قد نلتقي قريباً ولكن في الحقيقة يبدو أنني الوحيد هنا السعيد بهذا اللقاء».

قال جيلي محاولاً التقاط أنفاسه: «بعد إذنك سأذهب الآن لأحاول أن أجد فرسي».

فأجابه العملاق: «لن تحصل على إذن مني بفعل شيء كهذا فقد قطعت طريقاً طويلة لتأتي وتشاهد قلعتي وفيها سترتاح هذه الليلة. وبالمناسبة، سترتاح فيها لعدّة ليال قادمة أيضاً».

فسأله جيلي: «قلعتك؟ ماذا تعني بذلك؟».

أجابه الرجل: «حيث يحصل على الذهب من يبحث عنه، أليست قلعتي هي ذلك المكان؟ تعال أيها اللص المتصنّع، أيها العبد الملعون. فلتعرف أنني ذلك الساحر وأن قلعة تايثرونان هي منزلي. هناك ستحصل على الكنز الذي تكلمت عنه، بالحفر كعبد لي طيلة حياتك ولتنهيها بحفر قبرك بيديك هاتين».

لم يكن لدى جيلي مكدونالد المسكين ما يقوله لذا حمله العملاق الذي أصبح طوله الآن عشرين قدماً من حزامه

Twitter: @ketab_n

وأخذه إلى القلعة التي كانت تبعد ميلين عن ذلك المكان. لكن الرحلة لم تستغرق طويلاً لأن خطى العملاق كانت واسعة جدّاً كما أنه كان مستعجلاً الوصول إلى البيت.

عندما وصلا إلى المنزل، وضع العملاق جيلي أرضاً ونطق بضع كلمات غريبة تحت الباب ليتحول من فوره من عملاق إلى رجل طوله زهاء سبعة أقدام ويعود بعدها إلى جيلي حاملاً هراوة غليظة ويقوده أمامه إلى القلعة.

دخلا بعدها إلى قاعة عالية مسقوفة بخشب البلوط مظلمة. كان عشاء يناسب عملاقاً موضوعاً على مائدة ضخمة من خشب البلوط، في حين اشتعلت النار في مدفأة تملؤها أخشاب شجر السرو ما مدّ الصالة ببعض الضوء. لاحظ جيلي في وهج النار أن الأثاث الوحيد في المكان إلى جانب طاولة وأريكة ضخمة في الزاوية هو خمسة ألواح من البلوط مسندة إلى الحائط عليها جميعاً مفصلات وأقفال من النحاس.

قال له العملاق: «قدّم لي العشاء بسرعة».

ففعل جيلي ذلك دون اعتراض محاولاً أن يستجمع أفكاره، ولذلك حاول جهده أن يرضي العملاق في الوقت الراهن متأملاً

Twitter: @ketab_n

في قدره السيء ومتسائلاً ما إذا كانت لديه فرصة للهرب. وسرعان ما خطرت بباله فكرة فصعد إلى كرسي وحمل الكأس العملاقة فوق رأسه لبعض الوقت.

سأله العملاق: «ما الذي تفعله؟ بماذا تفكر؟ ما اللعبة التي تحاول لعبها بحملك الكأس بهذه الطريقة؟».

فأجاب جيلي: «أوه! أعتذر منك، معك حق ولكنني قد اعتدت أن أفعل ذلك».

فسأله العملاق بحدّة: «اعتدت فعل ماذا؟».

فأجابه جيلي: «اعتدت تقديم الشراب لسيدي في المنزل بهذه الطريقة فهو يحب أن أحمل كأسه أقرب ما يمكن إلى فمه».

فقال العملاق: «لكن هذا مرتفع جدّاً ومن السخف فعله».

فأجابه جيلي موضحاً: «ليس تماماً، فأنت لست العملاق الوحيد في المملكة».

فأجابه العملاق متفاجئاً بعض الشيء: «حسناً». ثم قال بعد أن أفاق من المفاجأة: «لابد من أنه مخلوق غريب، لكنني لن أقبل بأي من ألاعيبك السخيفة هنا لذلك الزم حدودك».

Twitter: @ketab_n

فأجاب جيلي: «لن تزعجك تصرفاتي لوقت طويل بكل الأحوال».

«ماذا تقصد؟».

أجابه جيلي: «أقصد فقط أن سيدي سيأتي ليأخذني من هنا».

فعلّق العملاق على ذلك بسخرية قائلاً: «يأخذك من بيتي؟ أود أن أرى شخصاً يفعل ذلك».

«وأنا أيضاً، وسيفعل سيدي ذلك».

نهض العملاق واثباً إلى النار حيث وقف لبرهة غارقاً بأفكاره، عندها لم يجد جيلي مانعاً من تناول القليل من الخبز ورشفة من الشراب، لكنه لم يحظ بالكثير من الوقت لفعل ذلك إذ أن العملاق استدار عائداً وقال كأنه يحاول أن يريح دماغه: «حسناً، لن يستطيع سيدك أن يجدك هنا لأنه لا يعرف أين يبحث عنك».

عندها قال جيلي: «هل لي أن أحظى بانتباهك للحظات يا سيدي؟ هلّا نظرت إلى فردتي حذائي هاتين؟ جسناً، انظر إلى

Twitter: @ketab_n

كعبي الحذاء، إنهما مطليان بالنحاس، وكل خدم سيدي رجالاً ونساءً وحتى قطعان الماشية تنتعل أحذية كهذه، بحيث يمكن له أن يتتبعنا أينما ذهبنا ولوكان ذلك في آخر الدنيا».

فسأله العملاق متظاهراً بالاهتمام: «من أي نوع من الأشخاص سيدك هذا؟».

أجابه جيلي وقد ارتفعت معنوياته قليلاً لمشاهدة معنويات العملاق تتزعزع: «أوه! ليس عليّ أن أكلف نفسي بالشرح لأنك ستعرف ذلك بنفسك قريباً جداً، فهو سيكون هنا قبل مساء الغد على الأغلب كما أنه لن يكون في مزاج جيد للمزاح».

بعد سماع ذلك أصبح العملاق محبطاً وقال لجيلي: «لا يهمني بالطبع إذا جاء سيدك أو لم يأتِ، لكن قل لي هل هو عملاق بالحجم الذي وصلت إليه عندما التقينا في الممر؟ لست فضولياً ولكنني أريد أن أعرف هذا».

فسأله جيلي محاولاً ألا يثير الانتباه: «هل كان ذاك أقصى حجم تستطيع الوصول إليه؟».

فأجابه العملاق: «نعم إنه حجمي الأقصى وهو بالتأكيد أكبر مما اعتدت عليه».

Twitter: @ketab_n

وهنا انفجر جيلي ضاحكاً ثم قال: «عليك أن تعذرني ولكنك ستبدو طفلاً أمامه إن كان هذا أقصى ما تستطيع فعله».

عندها اقترب العملاق من المدفأة وهو في حالة قلق كبير وركل بعنف الألواح من إحدى جوانب المدفأة إلى جانبها الآخر فقط ليخفي الخوف الذي أصبح يعانيه الآن. ثم قال: «أعتقد أن عليك أن تذهب من هنا حالاً. فأنا الآن أتمنى لو أني لم ألتق بوجهك القبيح أبداً».

أجابه جيلي: «ليس في ما تقوله أيّ لباقة خاصّة أنك كنت متلهفاً للقائي على الطريق إلى هنا».

عندها هدر العملاق قائلاً: «ارحل من هنا في هذه اللحظة وسأعطيك هذه القطعة من النقود لتشرب بثمنها نخب صحتي إن تصرفت بهدوء ورحلت من هنا».

أخذ جيلي النقود واتجه إلى الباب لكنه كان يتظاهر بالمغادرة لأنه كان يعرف أن العملاق أصبح الآن تحت سيطرته تماماً، ولم يكن في نيته مغادرة القلعة دون أخذ القليل من الكنز الذي تكبد لأجله كل هذا العناء. لذلك استدار عائداً بعد أن كان على وشك أن مغادرة القاعة وقال: «إنه لمن اللطيف جدّا أن تعطيني هذه

Twitter: @ketab_n

القطعة من النقود وترسلني إلى المنزل، هذا أكثر مما توقعته منك لذا أظنّ أنه علي أن أخبرك من باب الكياسة أن سيدي سيأتي إلى هنا سواء غادرت المكان أم لا. لذا عليك أن تكون مستعدّاً له. صه! ألا تسمع الصوت هناك؟»، وكان يستغل بذلك صوت الريح التي تهب حول القلعة.

تابع جيلي قائلاً: «ها هو ذا ينظف أنفه. يا للهول! لا تتوتر فهو لا يزال على بعد أميال من هنا».

قال العملاق: «تعال اجلس هنا وسأدفع لك ثمن وقتك اذا قلت لي كيف أستطيع الهرب قبل أن يراني سيدك لأنه يبدو شخصاً سريع الغضب ولا أريد أن أتعارك مع أيّ من أصدقائك في منزلي».

أجابه جيلي: «حسناً، فقط اختبئ ريثما يأتي ثم يغادر. لكن كيف ذلك؟ لا أعرف كيف يمكن أن تفعل هذا وأنت بهذا الحجم؟».

فقال العملاق: «يمكنني الاختباء في تلك الزاوية بجانب الباب».

Twitter: @ketab_n

فصرخ جيلي: «تختبئ في الزاوية! كيف ذلك وأنت بهذا الحجم؟».

فهدر العملاق قائلاً: «كيف يمكنني؟ عليك أن تعرف أنه لا يوجد ما يمكن وما لا يمكن في منزلي هذا». ثم ذهب إلى الزاوية خلف الباب ونطق كلمات غريبة ليتحول طوله بلحظة إلى خمسة أقدام. وكان هذا الطول المناسب تماماً لمكان الاختباء.

فقال جيلي: «ولكن هذا لن ينفع مطلقاً فسيدي سيبحث في أرجاء المنزل. هذه أسوأ خصاله، إنه حشريّ جدّاً وأنا متأكد أنه سيجدك».

فقال العملاق: «اللعنة على حشريته! ربما سيفيد الاختباء تحت الطاولة!» ووضع رأسه تحت الطاولة ثم قال كلمات غريبة جدّاً ليتحول بلحظات إلى حجم صغير يناسب الوقوف تحت الطاولة.

قال جيلي: «هذا أفضل». ثم مشى إلى آخر القاعة وقال: «كلا! يمكنني أن أراك بسهولة من هنا وسيدي يمتلك عينين ثاقبتين».

Twitter: @ketab_n

فقال العملاق: «فليأخذ الوباء عينيه الثاقبتين وليأخذك الوباء أنت أيضاً. لن أجعل نفسي أتقلص إنشاً واحداً أكثر من ذلك».

عندها هبت ريح أقوى حول القلعة فقال جيلي: «اصمت، اصمت! ها هو لا يزال على بعد أميال ولكنه يمشي أسرع الآن ويا لشدّة الرشح الذي يعاني منه! استغلّ ذلك قدر الإمكان. لكن لا تلمني إذا كسر سيدي رقبتك».

عندها اندفع العملاق من تحت الطاولة وقال كلمات أغرب من ذي قبل تحت مسند الأقدام ليصبح طوله ست إنشات ويتحول إلى قزم صغير ينظر بعينين حولاوين إلى جيلي مكدونالد من بين قدميه.

فقال جيلي: «لا أعتقد حقاً أنه يستطيع رؤيتك هنا. لكن سيدي فضولي ويركل الأشياء من حوله، لنجرّب على سبيل الاطمئنان». وركل مسند الأقدام برجله ثم قال: «لا! لن ينفع هذا أيضاً فقد رأيتك بوضوح عندما تحرك المسند. ألا يمكنك الاختباء تحت شيء أصغر؟».

فأجابه القزم زاعقاً: «لا، لا لك، ولا لسيدك الشرير. لن أفعل ذلك، لن أفعله».

Twitter: @ketab_n

هـدرت عندها ريح قوية عنيفة في المدخنة، فـردّ جيلي: «فلتتحمل العواقب إذن، ها قد وصل إلى الباب. وسيصبح أنفه أحمر كأنفك إذا استمر بتنظيفه بهذه الطريقة».

ودون أن ينبس القزم ببنت شفة زحف خارجاً من تحت مسند الأقدام مسرعاً إلى المدفأة المشتعلة وقال كلمات أغرب من ذي قبل تحت حجر المدفأة ليصبح في لحظة بحجم خنفسة سوداء.

ناداه جيلي: «إلى أين ذهبت؟».

«فزعق القزم قائلاً: «تحت حجارة المدفأة».

فردّ جيلي: «غير معقول! لا أزال أراك تحت مسند الأقدام».

فقال القزم: «لا تستطيع رؤيتي هناك فأنا تحت حجارة المدفأة».

قال جيلي مهدّداً: «لا تكذب عليّ وإلا أخبرت سيدي بذلك».

فزعق القزم قائلاً: «هل يرضيك هذا إذن؟»، وزحفت خنفسة صغيرة سوداء قبيحة من تحت حجر المدفأة. «هل تراني الآن؟ هل أنت راض بذلك؟».

Twitter: @ketab_n

قال جيلي: «أنا في قمّة الرضا». وداس على الخنفساء بقدمه وسحقها سحقاً! ولم يتبق منها إلا بقعة سوداء على الأرض. عندها تنفس جيلي الصعداء وغرق في كرسي العملاق مفكراً: «لقد انتهى كل ذلك الآن».

لكنّ صوتاً قوياً جعل الألواح الخشبية الخمسة تفتح جميعاً وقبل أن يستطيع جيلي أن يقول شيئاً وجد نفسه محاطاً بخمس فتيات يرتدين ملابس خضر بلون البحر يتعلقن جميعا برقبته وذراعية يقبلنه ويدغدغنه وكدن أن يخنقنه وهن يضحكن ويقهقهن طوال الوقت كالمجانين.

صرخ جيلي بهن من بين أنفاسه المخنوقة وهو يحاول التحرر منهنّ: «توقفن! إليكنّ عنّي! ابتعدن أيتها الساقطات المهووسات ابتعدن عني! ابتعدن أقول لكنّ!»، إلا أنه كلما دفعهن وركلهن أكثر اقتربن وعانقنه وتعلقن به أكثر. لا أعرف ما الذي كان سيحدث لو لم ينجح بالتخلص منهن بالقوة ويركض إلى نهاية الصالة ممسكاً بمسند أقدام العملاق أمامه ليحمي به نفسه.

صرخ جيلي بالفتيات: «فلتبقين بعيداً وإلا ضربت من تقترب منكن بهذا الكرسي ضربة موجعة! أقسم أني سأفعل!»، وأخذ يلوح بالكرسي بشكل دائري أمامه. بدأت الفتيات الخمس

Twitter: @ketab_n

عندها بالرقص والضحك وأخذن يرسلن له قبلاً في الهواء ويركلن بأقدامهن بطريقة لم يشاهد مثلها من قبل.

نادين عليه: «تعال أيها الجبان، هل تدعو نفسك رجلاً ثم تختبئ بهذه الطريقة؟ ووووا!». ويا للتعابير التي رسمنها على وجوههن عندما صرخن: «وووووووا!» عندها قال جيلي: «لن أخرج ولن أضع الكرسي أرضاً حتى تعدنني أن تتصرفن بتهذيب. هذا كل ما لدي لأقوله. ما خطبكن؟ قلن لي، ما الذي تردنه ثم اتركنني وشأني».

فقلن له: «هذه هي المشكلة فشأنك هو شأننا أيضاً. أينما ذهبت علينا أن نذهب أيضاً. عليك أن تتزوجنا جميعاً لذلك لا فائدة من الهروب مما يجب أن يحصل بكل الأحوال».

فقال جيلي: «بل ما لا يمكن أن يحصل. هل قلتن يجب أن أتزوجكن جميعاً؟ ما الذي يعنيه ذلك؟ ولا تتكلمن جميعاً في الوقت نفسه!»، لأنهن أخذن يزعقن ويصرخن معاً في الوقت نفسه.

بدأت أكبرهن الكلام قائلة: «حسناً، اسمعني، لا نستطيع نحن ولا أنت تغيير ذلك. نحن بنات ملك لوش لين وكنا حبيسات هذه الخزائن لثلاث سنوات لأننا أقسمنا ألا نتزوج

Twitter: @ketab_n

ذلك العملاق وعلينا الآن أن نتزوجك لأننا أيضاً أقسمنا أن نتزوج أي شخص يحررنا من هذه الخزائن وأنت لا تريد أن تحل بنا اللعنة لحنثنا بالقسم أليس كذلك؟».

فقال جيلي: «حسناً، في هذه الحالة اجلسن بهدوء حول الطاولة ودعونا نناقش الأمر بجدية. لكن انتبهن، فأي تصرف طائش سيجعلني أضربكن على رؤوسكن جميعاً».

وهكذا وعدنه أن يجلسن بهدوء حول الطاولة إذا خرج وجلس قبالتهن، وهذا ما حدث. وبعد الكثير من النقاش شرح لهنّ استحالة أن يتزوجهن جميعاً، واقترح عليهن اختيار واحدة منهن لتمثلهن جميعاً ثم سيفكر ما الذي يمكنه أن يفعله.

قرروا بعد ذلك أن تلعب الفتيات لعبة وأن يتزوج الفائزة بينهن. لذا تناولن طاولة الزهر الخاصة بالعملاق من فوق المدفأة ولعبن لمدة ساعتين لكنهن كن يغششن ويخدعن في اللعب فلم تفز أي منهن ولم تخسر أي واحدة أيضاً. لذلك قلن إنه من الواضح أن عليه الزواج منهن جميعاً.

Twitter: @ketab_n

قال جيلي: «لا، هذا سخيف تماماً، والأهم من ذلك، لقد تأخر الوقت الآن وسيبزغ الفجر قريباً. فلتحاول كل منكم أن ترمي حجر النرد ولنرى إن أمكننا حل المسألة بهذه الطريقة».

وهكذا لعبن ثانية، لكنهن جميعا غششن وخدعن بعضهن بعض مرة أخرى فلم يفز أحد منهن ولم يخسر أحد. عندها قلن له إن عليه الزواج بهن جميعاً مهما اعتقد أو قال!

«لن أفعل بذلك! لكن حضّرن لي بعض العشاء فأنا أتضور جوعاً». فحضرن له العشاء وجلس الجميع إلى مائدة العملاق ينتظرون. عندما انتهى جيلي من الطعام واستجمع أفكاره قال لهنّ: «هذا هو اختباركن، غداً أسأل كلا منكن عن اللون الذي أفضله لفستان عروسي ومن تعرف اللون الصحيح منكن ستصبح زوجتي. أعتقد أنكن لا تستطعن الخداع بهذه الطريقة».

«حسناً»، قالت الفتيات ذوات الأردية الخضراء. لكن الصغرى بينهن وضعت تعويذة سحرية في كأس جيلي دون أن ينتبه، تلك التعويذة تجعله يحلم ويتكلم في نومه أيضاً. وقالت لنفسها: سيقول لنا الآن أسراره بالتأكيد.

Twitter: @ketab_n

بعد أن أفرغ جيلي كأسه ذهب ليستلقي أمام النار على أريكة العملاق وتظاهرت الفتيات بالصعود إلى الطوابق العليا بعد أن تمنين له ليلة طيبة، لكن حالما غط بالنوم عدن خلسة إلى الغرفة واختبأن في أرجائها بانتظار ما يمكن أن يحدث.

بالتأكيد بدأت الجرعة تعطي مفعولها بسرعة وأخذ جيلي يحلم بمزرعته وبالمناطق حول تلال ستراشور وأخذ يتكلم في نومه قائلاً:

«لون الذرة في وادي أركنغلاس أصفر

ولون السرخس على ضفاف (بين إيما) أصفر

ولون شعر حبيبتي أصفر

وفستانها يجب أن يصبغ بالأصفر».

نهضت عندها الفتيات ضاحكات بصوت خافت وغادرن الغرفة.

في صباح اليوم التالي تسللت الشمس من النافذة لتوقظ جيلي لكن الفتيات المتشحات بالأخضر استيقظن قبله وحضرن الإفطار لأنهن كن سعيدات بحريتهن، وبخداعهن وغشّهن

Twitter: @ketab_n

سواء قررت الشمس أن تشرق أم لا. كن سعيدات بالفعل لدرجة أنني لا أعتقد أنه غمض لهن جفن طوال الليل. وعندما أدركن أن جيلي استيقظ قلن له: «اطرح سؤالك» فطرح جيلي سؤاله حول لون ثوب عروسه على كل منهن بدورها وأجبن جميعاً أصفر.

صعق جيلي ولم يستطع أن يقول لهن إنهن أخطأن، لأن عينيه كانت تقول إن جوابهن صحيح.

فقلن له: «إذن؟ ألا ترى أنه لا يوجد مهرب، عليك أن تتزوجنا جميعاً».

فقال لهن جيلي: «الآن عليكن أن تعطينني فرصة أخرى فالمسألة جدّية. سأختبركن مرة أخرى وإذا لم ينجح ذلك سنرى ما سنفعله في حينه».

«فقلن له إنهن لن يقبلن بأي اختبار آخر بل سيكون هذا الاختبار الأخير هذه المرّة وضحكن معاً لأنهن كنّ واثقات من النتيجة وهن ينظرن إلى جيلي كمغفّل يسهل خداعه.

«اسمعنني إذن، من تقول لي منكن ما هوالمعروف الذي طلبته سمكة القدّ من أرملة غايا فستكون زوجتي».

Twitter: @ketab_n

فقلن له: «علينا أن نذهب إلى الحديقة ونفكر في الإجابة لبضع دقائق».

«اذهبن. أمنحكن خمس ساعات للتفكير بالإجابة». ولكنه كان متأكداً أنهن ذهبن إلى بحيرة (لوش) ليسألن سمك القدّ عن المعروف الذي طلبته من الأرملة.

فكر جيلي: «هذه فرصتي». وذهب دون إضاعة المزيد من الوقت إلى بئر الحديقة حيث وجد بالتأكيد الكنز الذي أخبره عنه البائع الجوّال. وبعد أن ملأ حافظة نقوده خرج مباشرة من الباب متجهاً إلى منزله دون أن يودّع أحداً ودون أن يطلب إذن أحد للرحيل.

لكنه تنهّد قائلاً: «لو أمكنني فقط أن أجد فرسي العزيزة الرمادية لكنت سعيداً جداً الآن، وكنت سأشعر بالأمان من تلك النسوة الجريئات السافرات».

لم يكد ينتهي مما قاله حتى رأى فرسه الرمادية على منعطف الطريق، نادى عليها فخبّت للقائه ولا يمكنني أن أحدد أيهما كان أسعد بلقاء الآخر.

Twitter: @ketab_n

قفز جيلي على ظهر فرسه واتجه الاثنان إلى تاربيرت. كان قلبه مرتاحاً خفيفاً بقدر ما كانت محفظته مليئة.

بينما اتجهت فرسه به ناحية المنزل. كان الاثنان في عجلة فلم يكن بحاجة لأن ينهز الفرس أو يسوطها. ولم ينتظر كثيراً ليصبح في تاربوت تلك الليلة. وبنقوده الكثيرة استطاع أن يدفع للبحارة ليأخذوه هنا وهناك، وعند منتصف الليل كان يجلس في بيته بجانب المدفأة وفرسه في إصطبلها المريح.

في صباح اليوم التالي أخذ يقضي بعض الأمور مع خدمه متحمساً لتحسين مزرعته بثروته الجديدة. فأخذ يعمل حتى ظهرت نجمة المساء وغمزت للشمس الغاربة فوق بين ديرغ.

وبينما يرتاح مستنداً إلى البوابة في طرف الحقل، اعتقد أنه سمع صوتاً، وحين نظر باتجاه الطريق شاهد على بعد ميل خيال خمس فتيات متشحات باللون الأخضر قادمات باتجاهه، وكن يرقصن ويؤشرن بأيديهن ويتحدّثن بطريقة غير مألوفة البتة. لم يحتج إلى معرفة سبب زيارتهن، لذا نادى أقبح مزارع لديه وأكبرهم سنّاً وطلب منه أن يغطي نفسه بوشاحه ويجلس إلى جانب المدفأة وفي يده إناء من الطعام ويتظاهر بتناوله. ثم ركض جيلي إلى الإصطبل وقطع حوالي قدم من

Twitter: @ketab_n

ذيل فرسه وجدلها فوق رأس المزارع وجعل حلقاتها المتعددة الألوان تتدلى من أنفه.

وقال له: «انتبه لما أقوله لك الآن، عليك أن تقول لكل الضيوف الذين قد يأتون إلينا إنك زوجة صاحب المنزل وتسألهم عن الغرض من زيارتهم. أما أنا فسأختبئ خلف كومة السماد هناك ولن أبرح مكاني».

بعد قليل سمع طرق على الباب، ودعا المزارع الفتيات فأسرعن بالدخول إلى البيت. وسألنه جميعا في الوقت نفسه: «هل صاحب المنزل موجود؟».

أجابهن المزارع: «كلا، لكنني زوجته. هل لي أن أسألكن عما تردنه منه؟».

للحظة تجمّدت الفتيات الخمس من الغضب والحيرة إثر سماعهن هذا الجواب، ثم صرخن بصوت عال وجمعن معاطفهن وخرجن مسرعات من المنزل في طريقهن إلى البحيرة ولم يرهنّ أحد بعد ذلك.

وعاش جيلي مكدونالد بعد ذلك حياة ترف وراحة. وإذا لم يكن قد تزوج بعد، فلا يمكن له أن يتحجج بقلّة العروض التي تلقاها، أليس كذلك؟

Twitter: @ketab_n

حکایات هزلیة

Twitter: @ketab_n

حكاية الغلام المخادع - ابن الارملة

ا.

كان يا ما كان، كانت هناك أرملة، وكان لها ولد واحد أحسنت تربيته وعلمّته تعليماً جيداً على أمل أن يستطيع اختيار عمل جيد لنفسه، إلا أن الابن قال إنه لا يريد تعلم أي نوع من العلوم أو الفنون بل يريد أن يصبح لصاً.

قالت الأم: «إذا كان هذا ما اخترت أن تتعلمه فسوف تنتهي مشنوقاً على جسر بايلي كلياب في آيرين».

ولكنه ظل رافضاً تعلم أي مهنة، مصراً على أن يصبح لصاً، رغم تحذيرات أمه بأن نهايته ستكون بالشنق على جسر بايلي كلياب في آيرين.

وذات يوم كانت الأرملة ذاهبة إلى الكنيسة للاستماع إلى العظة فطلبت من الغلام المخادع -ولدها- أن يذهب معها عله يتعظ ويغير طباعه السيئة ولكنه رفض الذهاب وقال لها: «أول ما ستسمعيه بعد بنتهاء العظة هو المهنة التي سأسعى إليها».

Twitter: @ketab_n

ذهبت إلى الكنيسة بعزيمة وإصرار متأملة بسماع خبر جيد.

وبعد أن ذهبت إلى الكنسية ذهب الغلام إلى دغل في الغابة القريبة من الكنيسة واختبأ في موضع يستطيع منه أن يرى أمه عندما تخرج من الكنيسة. وحالما خرجت من صرخ بأعلى صوته: «السرقة! السرقة! السرقة!». نظرت حولها لكنها لم تستطع أن تميز مصدر الصوت فعادت إلى البيت. أما الغلام فركض على طريق مختصرة ووصل إلى البيت قبلها ودخل وجلس إلى جوار الموقد. وما إن دخلت أمه إلى البيت حتى بادرها بالسؤال عن العظة التي سمعتها في الكنيسة، لكنها أجابته بأنها لم تسمع في الكنيسة أي حكاية ولكن الصوت الذي صاح: «السرقة، السرقة، السرقة، كان أول ما سمعت حين خرجت من الكنسية».

فقال الغلام: «هـذه هي بالضبط المهنة التي أرغـب في ممارستها».

فقالت له كما اعتادت أن تقول: «نهايتك سوف تكون الموت شنقاً على جسر بايلي كلياب في آيرين».

وفي اليوم التالي فكرت الأم بينها وبين نفسها بأنه بما أن ولدها لا يريد أن يكون إلا لصاً فسوف تحاول أن تجد له من

Twitter: @ketab_n

يساعده في تعلم هذه المهنة فذهبت إلى «المحتال الأسود» من أتشالوين، اللص المحتال كان ماكراً لدرجة أن الجميع يعلم بأنه لص ويقترف السرقات ولكنهم عجزوا عن إيجاد وسيلة للقبض عليه. سألت الأرملة المحتال الأسود إذا كان يوافق على تعليم ولدها السرقة. فأجابها: «إذا كان ذكياً فسأعلمه التشرد وإذا كانت هناك أي فرصة لأصنع منه لصاً فسوف لن أتردد». وهكذا تم عقد ميثاق بين المحتال الأسود والغلام المخادع.

وعندما كان الغلام المخادع -ابن الأرملة- يعد العدة للذهاب إلى المحتال الأسود قدمت له أمه النصح ثم قالت له: «إنك تخالف مشيئتي باتباعك طريق السرقة، وأعود لأقول لك إن نهايتك سوف تكون الشنق على جسر بايلي كلياب في آيرين». ولكن الغلام المخادع أصر على رأيه وذهب إلى بيت المحتال الأسود.

وهكذا زوّد المحتال الأسود الغلام المخادع بالمعرفة التي يحتاج إليها ليتقن السرقة، وعلمه على فنون الخداع التي يجب أن يمارسها ليحصل على فرصة للسرقة. وقد وجد أن الغلام يتعلم بسرعة وأصبح على دراية كافية ومهارة في السرقة فقرر أن الوقت قد حان ليصحبه معه. وذات يوم قال المحتال الأسود للغلام

Twitter: @ketab_n

المخادع: «لقد أمضينا ما يكفي من الوقت في التعلم والآن يجب أن نذهب ونفعل شيئاً. هناك رجل يقيم قريباً من هنا وفي جعبته الكثير من المال. وقد اشترى كل قطيع القرية المعروض للبيع وما زالت كل النقود في حوزته، وهذا هو الوقت المناسب لنسرقه قبل أن يدفع للناس أثمان القطيع الذي اشتراه منها».

كان الغلام المخادع تواقاً للقيام بالمهمة تماماً كما كان المحتال الأسود نفسه. ومع حلول الليل ذهبا معاً إلى بيت الرجل، وصعدا إلى العلية واختبآ هناك. كانت تلك الليلة عشية احتفال الهلوين وقد اجتمع الناس في الداخل للاحتفال بالمناسبة يغنون ويمرحون معاً.

خشي الغلام المخادع ألا يتفرق الجمع فنهض ونزل إلى الزريبة وفك القطيع وعاد إلى مخبأه. بدأ القطيع يهيج في الزريبة والحيوانات تهاجم بعضها بعضاً. وهكذا سمع المجتمعون صوت القطيع فذهب كل من كان في الداخل لتفريق الحيوانات عن بعضها وربطها من جديد. وبينما انشغل الناس بالحيوانات دخل الغلام المخادع إلى الغرفة حيث كانوا يجتمعون وسرق جراب المكسرات وعاد إلى العلية ثانية وجثم خلف المحتال الأسود. وكان معه إبرة وخيط، فأحاط جراب المكسرات إلى

Twitter: @ketab_n

معطف المحتال الأسود وعندما عاد الناس ثانية إلى غرفة الجلوس ليتابعوا احتفالهم اكتشفوا بأن المكسرات قد اختفت. بحثوا عنها فلم يجدوها فاعتقدوا أن أحد أصدقائهم قد دخل في غيابهم وأخذ المكسرات على سبيل الدعابة، فجلسوا بجوار الموقد بصمت وهدوء.

قال الغلام المخادع للمخادع الأسود: «أريد أن أكسر جوزة».

«لا لن تكسر ولا واحدة، وإلا سمعوا الصوت وأمسكوا بنا».

فقال الغلام المخادع: «لم أمض قط عشية الهلوين دون أن أكسر الجوز والبندق». ثم كسر جوزة.

فسمعه أولئك الذين كانوا يجلسون في غرفة الجلوس وقالوا: «هناك شخص ما في العلية يأكل مكسراتنا، سوف نذهب ونقبض عليه».

عندما سمع الحتال الأسود ذلك قفز من العلية وهرب من المنزل وهو يجر خلفه الجراب المعلق بذيل معطفه. صاح كل فرد من الجماعة بأن المحتال الأسود قد سرق الجيب معه وهرب.

Twitter: @ketab_n

هرب المحتال الأسود وركض الناس خلفه وقد ابتعد مسافة بعيدة عن المنزل قبل أن يصلوا إليه ويمزقوا الجيب من ذيل معطفه ويتركوه. ولكن وفي الوقت الذي كان الجميع منشغلين بمطاردته، نزل الغلام المخادع من الشرفة إلى البيت الذي أصبح خالياً وفتشه حتى وجد صندوق الذهب والفضة. فتح الصندوق وأخذ ما فيه ثم حمل الكثير من المؤن من الخبز والزبدة والجبن وغيرها من المواد التي وجدها في المنزل وغادره قبل أن يعود الناس من ملاحقة المحتال الأسود.

عندما عاد المحتال الأسود إلى بيته خالي الوفاض قالت زوجته: «ماذا حدث حتى عدت خائباً من رحلتك؟».

قصّ قصته لزوجته وكان غاضباً جداً من الغلام المخادع وأقسم بأن يقضي عليه في أقرب فرصة.

وبعد فترة وجيزة عاد الغلام الأسود محمّلاً بالحقائب.

أعجبت زوجة المتشرد الأسود بالغلام وقالت له: «أعتقد أنك أنت اللص الأفضل!»

لم يفه المتشرد الأسود ببنت شفة حتى أخرج الغلام المخادع حقائب الذهب والفضة، فقال: «ولكن أنا من علم الشاب الذكي!».

Twitter: @ketab_n

اقتسم الاثنان حقائب الذهب والفضة مناصفةً وأخذ كل منهما نصيبه. وعندما رأت زوجة المحتال الأسود الحصة التي حصل عليها زوجها قالت للغلام المخادع: «إنك لص محترف، وجدير بالمهنة!» ومن حينها أصبحت تحترمه أكثر مما تحترم زوجها نفسه.

Twitter: @ketab_n

٢.

ومضى المحتال الأسود والغلام والمخادع في السرقة حتى جمعا مبلغاً كبيراً من المال وفكرا أنه من الأفضل أن يشتريا قطيعاً من الماشية ويذهبا به إلى السوق ويبيعاه وبهذا سوف يعتقد الناس أنهما حصلا على النقود من تجالاة الماشية فلا يشك بأمرهما أحد. وهكذا اشتريا قطيعاً كبيراً وذهبا به إلى السوق الذي كان بعيداً جداً عن بيتهما وبعد أن باعا القطيع وحصلا على النقود وكانا في طريق العودة إلى البيت رأيا مشنقة على قمة هضبة فقال الغلام المخادع للمحتال الأسود: «دعنا نصعد ونرى المشنقة عن قرب، فهناك من أخبرني بأن نهاية اللصوص هي المشنقة مهما طال بهم الزمن».

صعدا إلى مكان المشنقة ونظرا إليها ملياً وتفحصاها ثم قال الغلام المخادع: «ألا يجب أن نجرب أي نوع من الموت في هذه المشنقة، وبهذا نعرف ما ينتظرنا إذا ما قبض علينا في عملية سرقة. سوف أجربها أنا أولاً».

Twitter: @ketab_n

وضع الغلام المخادع حبل المشنقة حول عنقه وطلب من المحتال الأسود: «هيا، ارفعني إلى الأعلى وعندما أتعب أهز ساقي وعندها تنزلني».

شد المحتال الأسود الحبل ورفع الغلام المخادع عن الأرض وسرعان ما هز الغلام المخادع ساقيه فأنزله المتشرد الأسود ثانية.

حرّر الغلام المخادع رقبته من حبل المشنقة وقال للمحتال الأسود: «لم أجرب بحياتي شيئاً أكثر متعة من الشنق. إذا جربته مرة فسوف لن تخاف من المشنقة بعد ذلك»

قال المحتال الأسود: «أنا سأجربه أيضاً ربما أعرف ماهيته».

قال الغلام المخادع: «هيا جرب، وعندما تتعب صفّر لي، وسأنزلك إلى الأرض».

وضع المحتال الأسود حبل المشنقة حول عنقه وشد الغلام المخادع الحبل فرفعه إلى الأعلى، وعندما أصبح المحتال الأسود في الأعلى قال له الغلام المخادع: «والآن إذا كنت تشعر بالبهجة حيث أنت هزّ ساقيك أما إذا رغبت بالنزول فصفّر».

وبعد لحظة بدأ المحتال الأسود يهز ساقيه ويرفس الهواء بينما

Twitter: @ketab_n

كان الغلام المتشرد يقول له: «أليست ممتعة! أليست ممتعة! أليست ممتعة! عندما تشعر بأنك اكتفيت وترغب بالنزول فقط صفّر».

ولكن لم يكن في مقدور المحتال الأسود أن يصفر بسبب الحبل المعقود حول رقبته، وهكذا قضى اختناقاً. ثم أخذ الغلام المخادع كيس نقوده قائلاً: «بما أنك لم تعد بحاجة للنقود الآن، فسوف أهتم بها من أجلك». ثم ذهب إلى منزل المحتال الأسود فسألته زوجته أين هو سيده؟

فأجاب الغلام المخادع: «تركته مكانه، مرتفعاً عن الأرض».

ظلت الزوجة تلح في السؤال عن المتشرد الأسود حتى أخبرها قصته، ولكنه قال لها إنه سوف يتخذها زوجة لنفسه. وعندما سمعت ذلك صرخت المرأة بأعلى صوتها، بأن الغلام المخادع قتل سيده وهو لم يكن إلا لصاً. وعندها ولى الغلام المخادع الأدبار. ورغم أن كان ملاحقاً إلاّ أنه تدبر أمره واختبأ في كهف طوال الليل وفي اليوم التالي غيّر دربه وتدبر وسيلة ليذهب إلى إيرين.

Twitter: @ketab_n

٣.

وصل إلى بيت نجار وجلس يبكي أمام الباب، مناشداً: «دعني أدخل».

«من أنت؟».

«أنا نجّار ماهر إذا كنت بحاجة إلى مساعدة».

فتح النجار الباب وأدخل الغلام المخادع، وبعدها بدأ هذا العمل بالنجارة.

لم يمض يوم أو اثنان على الغلام المخادع في بيت النجار حتى تطلع الغلام هنا وهناك ثم قال: «ما هذا الاختيار! يا له من بيت بائس، أيعقل أن يكون بيتك هكذا، ومخزن الملك بجوارك».

سأله النجار: «ماذا تعني بذلك؟».

«أعني، أنه بإمكانك الحصول على الكثير من مخزن الملك إذا كنت ذكياً بما فيه الكفاية».

Twitter: @ketab_n

قال النجار وزوجته: «سوف نسجن إذا قمنا بمثل هذا الفعل».

ظلّ الغلام المخادع يردد على النجار أنهما يجب أن يسطوا على مخزن الملك لأنهما سيجدان فيه الكثير من الأشياء، ولكن النجار لم يكن يوافقه الرأي. لكن الغلام المخادع أصر على فكرته فأخذ معه بعض أدوات النجار وذهب بنفسه وسطا على مخزن الملك وسرق الكثير من الخبز والزبدة والجبن وعاد بها إلى بيت النجار. سعدت زوجة النجار بالمواد التي أحضرها وطلبت من زوجها بأن يذهب هو بنفسه في الليلة التالية. وفي الليلة التالية ذهب النجار مع الشاب وسرقا مخزن الملك الكثير من كل ما طاب لهما من المواد.

شعر خدم الملك باختفاء الزبدة والجبن وغيرهما من المواد من المخزن وأخبروا ملكهم بالأمر.

طلب الملك نصح كبار مستشاريه ليرشده إلى أفضل طريقة للقبض على اللصوص. وأشار عليه المستشار أن يضع برميلاً من الزفت اللزج تحت الفجوة التي يدخل اللصوص منها. وتم العمل بذلك وفي الليلة التالية ذهب النجار والغلام المخادع لسرقة المخزن.

Twitter: @ketab_n

أدخل الغلام المخادع سيّده قبله فسقط السيّد في البرميل وغطاه الزفت إلى خصره فلم يقوَ على الخروج. وضع الغلام المخادع قدميه على كتفي سيّده وبدأ يحمل الجبن والزبدة ويضعها على حافة الفجوة وبعد أن أخذ ما أراد من الزبدة والجبن وأراد الخروج قطع رأس النجار وأخذه معه تاركاً جسده في برميل الزفت. أخذ الرأس إلى البيت ودفنه في الفناء.

وعندما دخل الخدم المخزن وجدوا في برميل الزفت جسداً دون رأس ولم يستطيعوا تمييز هويته. ثم حاولوا البحث عن شخص يستطيع أن يتعرف إلى الجسد من الثياب ولكن الثياب كانت مغطاة بالزفت وبالتالي لم يستطع أحد التعرف إلى هوية الجسد.

طلب الملك نصيحة المستشار حول الأمر وكانت نصيحته بأن يحمل الجنود الجسد على نصال رماحهم ويعبروا به في الشوارع من قرية إلى قرية ويراقبوا وجوه من يراه علهم يعثرون على شخص يأسف عليه، ويصيخوا السمع ربما سمعوا أحداً يصرخ متألماً عندما يراه بهذا المنظر.

وهكذا انتشلت الجثة من برميل الزفت ووضعت على نصال الرماح الخشبية، ثم قام الجنود بحملها وأخذوا يطوفون

Twitter: @ketab_n

بها من بلدة إلى أخرى. وما إن مروا ببيت النجار، حتى أطلقت زوجة النجار صرخة ذعر، فقام الفتى المخادع فوراً بجرح نفسه بفأس كبيرة حادة وهو يردد مخاطباً زوجة النجار: «ليس الجرح مؤلماً جداً كما تعتقدين».

جاء القائد ومعه مجموعة من الجند، فسألوه: «ما الذي أصاب ربة البيت؟».

قالَ الفتى المخادع: «لا شيء لقد جرحت للتو قدمي بالفأس وأفزعها منظر الدم»، ثم قال لزوجة النجار: «لا تخافي، فهذا سيشفى بأسرع مما تتصوري».

اعتقدَ الجنود أنّ الفتى المخادع هو النجار، وأن الزوجة التي رأوها هي زوجته، وهكذا انطلقوا خارجين، وتنقلوا من بلدة إلى أخرى لكنهم لم يجدوا أحداً آخر سوى زوجة النجار نفسها التي أطلقت صرخة أو صيحةً عندما كانوا مارين بقربها.

ثم قاموا بإرجاع الجثة إلى القصر. وطلب الملك نصيحة أخرى من كبار المستشارين، الذي أشار عليه بأن يأمر بتعليق الجثة على شجرة في الهواء الطلق، ثم تكليف الجنود بمراقبتها

Twitter: @ketab_n

حتى لا يأخذها أحد، وتكليفهم أيضاً بملاحظة ما إذا قدم أحد ما إلى مكان الجثة تسوقه مشاعر الحزن أو الشفقة عليها.

مر الغلام المخادع بالجنود ولما رآهم، ذهب وأحضر حصاناً، وقام بتعليق برميلين صغيرين من الخمر على جانبي الحصان، ثم سار به أمام الجنود وهو يتظاهر بأنه يحاول إخفاء نفسه عنهما. ظن الجنود بأنه كذلك أو أنه قد قام بسرقة شيء ما، فركض بعضهم وراءه وتمكنوا من الإمساك بالحصان العجوز والشراب أما الغلام المخادع فقد ولى الأدبار. أخذ الجنود الحصان والخمر وعادوا إلى مكانهم قرب الشجرة حيث علقت الجثة. نظروا في البرميل، فلما عرفوا أن ما بداخله ليس إلا الخمر، أحضروا أقداحاً وبدأوا يشربون، ثم واصلوا شربهم للخمر حتى ثمل كل واحد منهم في نهاية الأمر، ثم اضطجعوا وناموا. ولما شاهد الغلام المخادع ذلك، عاد إلى الشجرة وأنزل الجثة ووضعها على ظهر الحصان، ثم ذهب بها إلى بيته، وبعد ذلك دفنها في الحديقة حيث دفن الرأس من قبل.

عندما استيقظ الجنود من نومهم وجدوا أن الجثة قد سرقت، ولم يكن أمامهم سوى الذهاب إلى الملك وإخباره بذلك. فطلب الملك المشورة من كبار المستشارين الذي أشار

Twitter: @ketab_n

عليه بأن يأمر بأخذ الخنزير الأسود الضخم الذي في زريبة القصر والطواف به من بلدة إلى بلدة، وعندما يصل إلى مكان الجثة فسوف يقوم باقتلاعها من مدفنها. أمسكوا بالخنزير وراحوا يطوفون به من مزرعة إلى أخرى علهم يتعرفون على المكان الذي دفنت فيه الجثة.

وساروا به من بيت إلى بيت، حتى وصلوا إلى بيت الغلام المخادع وأرملة النجار. عند وصولهم تركوا الخنزير يفتش الأرض. قال لهم الغلام المخادع إنه متأكد من أنهم يعانون من الجوع والعطش، ودعاهم إلى البيت مقترحاً أنه من الافضل لهم الدخول الى البيت وتناول اللحم والشراب والتخفف من تعبهم ريثما يقوم الخنزير بمهمة التفتيش في المكان.

دخل الرجال إلى البيت، وطلب الغلام المخادع من أرملة النجار أن تجهز لهم اللحم والشراب وتقدمه لهم. قامت أرملة النجار بتحضير الطعام ووضعه أمامهم. وبينما أخذ الرجال يتناولون طعامهم، خرج الغلام المخادع ليتفقد الخنزير الذي كان قد وقع لتوه على الجثة في الحديقة. فذهب وأحضر سكيناً كبيرة وقام بقطع رأس الخنزير ثم قام بدفنه هو ورأسه بجانب جثة النجار في الحديقة.

Twitter: @ketab_n

وعندما خرج رعاة الخنزير وجدوه قد اختفى، فسألوا الغلام المخادع إن كان قد رآه. أجابهم أنه رآه يمضي في اتجاه معين فانطلقوا على عجل إلى الجهة التي أشار إليها الغلام المخادع.

ولما تأكد الغلام المخادع من أنهم اختفوا عن الأنظار، قام بترتيب الوضع بطريقة تجعل وصولهم إلى مكان الخنزير غير ممكن. وعندما عجزوا عن إيجاده، لم يكن أمامهم سوى الذهاب إلى بيت الملك وإخباره بما حدث معهم.

فلجأ الملك إلى مشورة كبير المستشارين مرة أخرى، وكانت المشورة التي وجهها له هي أنه ينبغي إرسال الجنود إلى مناطق متفرقة من البلاد بحثاً عمن لديه لحم خنزير، ومن لا يستطيع من الناس الإفصاح عن مصدر لحم الخنزير الذي بحوزته، فسيكون هو من قتل الخنزير وارتكب كل الجرائم الأخرى.

بدأ العمل بمشورة كبير المستشارين وأرسل الجنود إلى مناطق متفرقة من البلاد. وذهبت ثلة منهم إلى منزل أرملة النجار حيث يعيش الغلام المخادع. قدمت أرملة النجار العشاء للجنود، وكان قد تم تجهيز بعض لحم الخنزير. أخذ الجنود يأكلون لحم الخنزير، ويفرطون في الثناء عليه مما جعل الغلام المخادع يفهم الأمر دون أن يظهر ذلك.

Twitter: @ketab_n

ذهب الجنود لأخذ استراحة في الإصطبل، وعندما كانوا نياماً قام الغلام المخادع بقتلهم. ثم راح بأسرع ما يمكن يتنقل بين منزل وآخر عبر المناطق التي يتواجد فيها الجنود، وبدأ ينشر شائعة وسط الناس في منازلهم، قائلاً لهم إن الجنود أرسلوا إلى الناس لكي يقتلوهم وهم نيام. وقد تمكن الغلام المخادع من إقناع الناس بذلك، وبالتالي قام الناس في كل منزل بقتل الجنود النائمين في إصطبلاتهم. وعندما حان موعد عودة الجنود لم يعد أحد، فذهب بعضهم لمعرفة ماذا حدث معهم، وعند وصولهم وجدوا أن جميع الجنود قتلوا في الحظائر حيث كاموا نائمين. نفى الناس في كل منزل معرفتهم بالكيفية التي قُتل بها الجنود أو من قام بذلك.

توجه الناس الذين كانوا في مهمة التحري بشأن الجنود الى قصر الملك، وأخبروه بما حدث، ثم دعا الملك كبير مستشاريه للحصول على المشورة منه. جاء المستشار فأخبره الملك بما جرى، وطلب منه المشورة. وكانت المشورة هي أن ينظم الملك حفلة يدعو إليها جميع المواطنين. وإذا كان الرجل الذي قام بكل تلك الجرائم موجوداً بينهم، فإنه سيكون أكثرهم جرأة، وسوف يدعو ابنة الملك نفسها إلى الرقص معه. دعي الناس إلى الحفلة

Twitter: @ketab_n

الراقصة، وكان الغلام المخادع من بين المدعوين. وبالفعل ذهب الغلام المخادع إلى ابنة الملك وسألها أن ترقص معه. كان المستشار يحمل معه قارورة مليئة بمادة سوداء، فقام بوضع نقطة سوداء من المادة التي كانت في القارورة على الغلام المخادع. ولكن بدا لابنة الملك أن شعرها لم يكن مرتباً بشكل جيد، وذهبت إلى غرفة جانبية لتعديل شعرها وذهب الغلام المخادع برفقتها، وعندما نظرت في المرآة ألقى هوالآخر نظرة فيها فرأى النقطة السوداء التي كان قد وضعها عليه المستشار. عندما رقصوا حتى نهاية الموسيقى، تمكن الغلام المخادع من الحصول على فرصة لسرقة القارورة من المستشار، ووضع عليه نقطتين سوداوين، ووضع، بالاضافة إلى ذلك نقطة سوداء واحدة على عشرين من المدعوين، ثم أعاد القارورة إلى حيث وجدها.

ثم تقدم الغلام المخادع من ابنة الملك وطلبها للرقص مجدداً. كانت ابنة الملك أيضاً تحمل قارورة، وقامت بوضع نقطة سوداء في وجة الغلام المخادع، ولكنه سرق القارورة خلسة من جيبها وحيث أن هناك نقطتين سوداوين عليه، فقد وضع نقطتين سوداوين على عشرين من المدعوين، وأربعة على المستشار. هكذا عندما انتهت الحفلة، أرسل بعض الجنود لمعرفة الرجل الذي

Twitter: @ketab_n

عليه نقطتين سوداوين، فوجدوا عشرين رجلاً عليهم نقطتين سوداوين، بينما كانت هناك أربع نقط سود على المستشار.

تأكد المستشار من أن القارورة في حوزته، وتأكدت ابنة الملك من وجود القارورة معها. قام الملك والمستشار بالتشاور والحلّ الوحيد الذي خرجا به هو أنه يتعين على الملك أن يتوجه إلى الحضور قائلاً إن الذي قام بكل تلك الخدع، لابد من أن يكون فائق الذكاء فإذا تقدم وسلم نفسه فإنه سوف يتزوج من ابنة الملك، وسيحصل على نصف المملكة والملك على قيد الحياة، وكامل المملكة بعد وفاة الملك.

ادعى كل واحد من أولئك الذين كانت على وجوههم النقط السوداء بأنهم هم أصحاب كل تلك الخدع. راح الملك ومستشاره الكبير يحاولون إيجاد حل للمسألة وتسويتها. وكانت التسوية التي استقروا عليها هي أن يضعوا كل الرجال ذوي النقط السود على وجوههم معاً في غرفة واحدة ثم يأتوا بطفل، وتقوم ابنة الملك بإعطاء تفاحة للطفل ثم يتم إرسال الطفل إلى الغرفة التي يجلس فيها الرجال ذوو النقط السود. وعلى الطفل بدوره أن يعطي التفاحة لواحد من الرجال الموجودين، وأيا كان الرجل الذي يعطيه الطفل التفاحة، فهو الذي سوف سيحصل على ابنة الملك.

Twitter: @ketab_n

تم تنفيذ ذلك، وعندما دخل الطفل إلى القاعة التي يتواجد فيها الرجال، كان الغلام المخادع يحمل مزماراً فاتجه الطفل نحوه وأعطاه التفاحة. ثم أخذ المزمار من الغلام المخادع، كما جرى تغيير مكان جلوسه في الغرفة. وأعطي الطفل التفاحة مرة أخرى، وأخرج من الغرفة، ثم أرسل إليها من جديد، وبما أنه كان قد رأى الغلام المخادع من قبل ممسكاً بالمزمار، فقد أعطاه التفاحة مرة اخرى. وهكذا حصل الغلام المخادع على ابنة الملك.

وبعد فترة وجيزة، حين كان الغلام المخادع وابنة الملك في طريقهما إلى بايلي كلياب، وتحديداً حين وصلا إلى جسر كلياب، سأل الغلام المخادع ابنة الملك عن اسم ذلك المكان، فأجابته إنه يدعى جسر بايلي كلياب، في آيرين. فقال لها الغلام المخادع: «حسناً، إذن، لطالما قالت لي والدتي إن نهايتي ستكون الإعدام شنقاً على جسر بايلي كلياب في آيرين؛ وقد أخبرتني بتكهناتها هذه في كل مرة كنت أقوم فيها بخداعها».

فقالت له ابنة الملك: «حسناً! إن كنت اخترت أنت نفسك أن تشنق نفسك فوق جدار الجسر، فإنني سوف أمسك بك بواسطة منديلي هذا».

Twitter: @ketab_n

كانا يتسليان حول الأمـر، إلا أن الغلام المخادع أبدى استعداده في نهاية الأمر للقيام بتلك التجربة على سبيل الدعابة. فأخرجت ابنة الملك منديل جيبها، وتعلق به الغلام من الجسر.

غير أن ابنة الملك سمعت أحدهم يصرخ قائلاً: «لقد شبت النيران في قصر الملك!»، ففقدت السيطرة على المنديل، وسقط الغلام المخادع وارتطم رأسه بصخرة فقضى على الفور. لم يكن الصراخ سوى هزل أطفال يلعبون، وهكذا عادت ابنة الملك إلى قصر أبيها أرملة.

Twitter: @ketab_n

توم لوثيان

١.

بعد أن كبر توم وصار رجلاً، بدأ يظن نفسه أكثر حكمة من والده، وكان هناك الكثير من الأمور التي يحبها في المنزل أكثر من العمل، فتحول إلى سمسار في سوق المواشي، بل وصار يتاجر حتى في منتجات الخمور، وهكذا انتهى به الأمر إلى الفلاس التام، ولم يعد والداه يمدانه بأي مساعدة. وكان يعلم أن جدته تدّخر الكثير من المال، كما كان يعلم أنها لن تعطيه فلساً واحداً. وكانت هذه العجوز تملك بقرة جيدة ضخمة سوداء، فسرقها توم ذات مساء ثم خبّأها في كوخ مهجور منعزل، وأبقاها هناك لمدة يومين أو ثلاثة أيام، وقدم لها الأكل والشرب خلال الليالي المظلمة، وأوهم جدته بأن أحداً ما قد قام بسرقة البقرة ليبيعها في موسم بيع المواشي لفصل الشتاء. فحزنت العجوز حزناً شديداً على فقدانها لبقرتها تلك، ومع ذلك كلفت توم بالذهاب إلى أقرب سوق وشراء بقرة أخرى لها. قبل توم ذلك بكل سرور ووعدها بأنه

Twitter: @ketab_n

سوف يحاول قدر الإمكان أن يقتني لها بقرة تشبه بقرتها الأولى. ثم أحضر بعض الطباشير وسحقها ثم مزجها بالماء، وطلا بالمزيج وجه البقرة وظهرها، حتى صارت ملونة. وفي الصباح أخذها إلى السوق ومكث بها هناك حتى آخر النهار ثم ساقها إلى البيت.

وما إن وصلت البقرة إلى البيت حتى بدأت تخور كما كانت تفعل سابقاً، مما جعل أبهج العجوز التي اعتقدت أن بقرتها الأولى عادت إليها. وعندما وجدتها بيضاء اللون، قالت: «وا أسفاه، أنت لا تشبهين البتة بقرتي السوداء الجميلة اللطيفة، على الرغم من أنني لم أسمع قط بقرة تخور مثلها غيرك». وأخذ توم يقول لنفسه: «الحمد لله أن هذه البقرة لا تفهم ما يقال لها، وإلا لوجدت نفسي في وضع محرج».

وبعد يومين أو ثلاثة أخرجت العجوز البقرة في الصباح لترعى مع بقية مواشي الجيران. لكنه كان يوما ممطراً فغسلت الأمطار الغزيرة اللون الأبيض عن وجه البقرة وظهرها، وهكذا رجعت البقرة السوداء إلى البيت ليلاً وولت البقرة الملونة مع الأمطار الغزيرة إلى الأبد ولم يسمع عنها أحد بعد ذلك. لكن والد توم الذي كانت تراوده بعض الشكوك حول

Twitter: @ketab_n

البقرة، نظر في وجهها جيداً، فوجد بعض بقايا الطبشور الذي لم تغسله الأمطار تماماً، فضرب توم المسكين ضرباً مبرحاً، ثم طرده من البيت ليسعى وراء رزقه.

Twitter: @ketab_n

٢.

لم يعد أمام توم الآن سوى اللجوء إلى الحيل والمكائد، فأخذ يفكر في طريقة يحصل بها على المال. فأحضر حبلاً بمقاس ما توقعه يكون طول أمه، ثم انطلق متوجهاً نحو مدينة إدنبره قاصداً نجاراً من أصدقاء والديه. سأله النجار عن حاله فأخبره بحزن شديد بأن أمه ماتت في الليلة الماضية، وبأنه يحمل معه مقاس النعش الذي يحتاجون إليه. غاب توم لبعض الوقت، ثم عاد مرة أخرى وقال للنجار إنه لا يعرف ماذا يفعل، فقد أوصاه والده بأن يأخذ بعض المال من أحد الأشخاص، لكنه اكتشف أن ذلك الشخص خارج المدينة.

فسأله النجار عن المبلغ الذي يحتاج إليه، فأجابه بأنه يريد جنيهاً ونصف الجنيه، فأعطاه المبلغ وقال له توم إنه سيحصل من أبيه على المال وعلى ثمن النعش حين يوصله إلى منزل أبيه في اليوم التالي. أخذ توم المال ومضى إلى حانة واستمتع بوقته غاية الاستمتاع حتى صرف المال كله. وفي صباح اليوم التالي،

Twitter: @ketab_n

أخذ النجار النعش وذهب برفقة اثنين من عماله إلى بيت توم، وما إن وصلوا حتى وجدوا أم توم أمامهم وهي تسأل النجار عن أحواله، وتسأله إلى أين يتجه بالنعش الذي يحمله. لم يعرف النجار ما يقول من شدة الدهشة التي أصابته لما رآها على قيد الحياة، لكنه أجابها أخيراً أن ابنها قصده بالأمس جالباً معه مقاس النعش، وأخذ منه جنيهاً ونصف الجنيه لشراء بعض مستلزمات الجنازة. فقالت الأم: «يا له من مأرق! أهذا ما فعله بي؟». وهكذا استرد النجار دينه، وتعويضاً عن التعب الذي ناله، وكان عليه أن يعيد النعش معه.

Twitter: @ketab_n

٣.

بعد أن أفلس توم مجدداً، بدأ يفكر في طريقة لإيجاد مورد آخر. فذهب واستأجر ثلاثين عاملاً حصّاداً، ومنحهم عملا لأسبوع كامل بأجر يصل إلى 10 بنسات لليوم الواحد، أي بزيادة بنسين على أجرهم المعتاد، مما جعل العمال المساكين يعتقدون أن توم أصدق سيد صادفوه في حياتهم، وأكثرهم سخاء ونبلاً، حتى إنه أخذهم إلى مطعم وقدم لهم الإفطار.

ثم قال لهم: «حسناً، أنتم كثيرون ومن مناطق مختلفة جداً، كما أنكم لا تعرفون بعضكم بعض جيداً فقد يكون بينكم النزهاء والمحتالون على حدّ سواء، وبما أنكم ستجتمعون في غرفة واحدة، فإن من يحملون المال منكم سيكونون أكثر طمأنينة بتسليمي هذا المال لكي أحتفظ به، وسوف أقوم بتسجيل المبالغ في قائمة بأسمائكم، ثم أعيدها لكم مع أجوركم ليلة السبت». فراح العمال يرددون: «أوه! هذا جيد جداً، خذ أيها السيد الطيب الحسن، هذا مالي... وهذا مالي...»، وكانت حصيلة ما جمعه منهم زهاء سبعة جنيهات.

Twitter: @ketab_n

وهكذا بعد أن حصل توم على المال، ذهب مع العمال إلى حقل ذرة يبعد زهاء ثلاثة أميال عن المدينة. لم تكن الذرة مكتملة النضج إلا أنها بالنسبة لتوم كانت تفي بالغرض لأن الحقل كان بعيداً من أي منزل. ثم طلب توم من العمال أن يشرعوا في العمل قائلاً لهم إنه ذاهب لكي يطلب لهم الغداء، ويرسل خادمه الخاص للالتحاق بهم في العمل.

ثم انطلق توم مهرولاً بأقصى سرعة إلى المدينة عبر طريق أخرى خشية أن يتبعه العمال ويقبضوا عليه. وعندما رأى أصحاب الحقل العمال المنتشرين في حقلهم، لم يستوعبوا ما كان يحصل. فانفجر صاحب الحقل بالصراخ على العمال وهو يركض خلفهم محاولاً إيقافهم عن العمل، إلا أنهم لم يتوقفوا إلا بعد مشادة قوية، وتدخل بعض الناس، وبعد أن اقتنعوا بأنهم وقعوا ضحية للخداع، مما جعلهم يولون الأدبار خائبين ينعون حظهم العاثر.

وبعد ذلك بيومين أو ثلاثة أيام، وبينما توم يسير في منطقة «كانونكايت» في إدنبره، رآه صدفة أحد أولئك العمال، فأمسك به وطالبه بأمواله، وأيضاً بالأجر الذي وعده به. فقال له توم: «مهلاً، مهلاً، سوف تحصل على مالك ومعه مبلغ آخر

Twitter: @ketab_n

إضافي». ثم اصطحبه إلى حانة، وطلب قنينة من الخمر وقدحاً؛ ثم انتحى بحارس الحانة جانباً وكأنه يريد أن يقترض منه بعض المال، وقال له: «إن هذا الرجل لص كبير، ولقد كنت وشخصان آخران نبحث عنه منذ ثلاثة أيام، وهما يحملان مذكرة التوقيف بحقه، فإن أنت راقبت هذا المحتال لكي أذهب وآتي بهما، سأكافئك بجنيه». فأجابه الحارس: «أجل فلتذهب، وسوف أحرس هذا اللص». فهرع توم مغادراً المكان، وتاركاً العامل المسكين والحارس يتعاركان، ثم انطلق مباشرة إلى إنجلترا.

Twitter: @ketab_n

٤.

وهكذا ترك توم بلده وحطّ به الرحال في مقاطعة «نورثمبرلاند» حيث عمل أجيراً لدى مزارع مسنّ شديد البخل، ومكث عنده عدة سنوات، وعلى الرغم من أنه استمرّ بخداع من حوله، إلا أنه كان يقوم بواجبه ويؤدي عمله على أحسن وجه. وكان لسيده عادة مزعجة، ذلك أنه لم يكن يسمح لأحد أن يشعل الشمع ليلاً في أثناء تناول العشاء. وذات ليلة، اتخذ توم لنفسه مقعداً بجوار سيده، وما إن شرع الجميع في الأكل حتى ملأ توم ملعقته من طبق العصيدة الساخنة جداً، ثم وضع الملعقة بسرعة في فم سيده. فصاح سيده في وجهه: «عليك اللعنة لقد أحرقت فمي»، فرد عليه توم قائلاً: «بل عليك اللعنة أنت يا سيدي، فأنت من جعل البيت مظلماً كأننا في سجن، فقد كنت أريد أن أضع الملعقة في فمي لكنها ضلت سبيلها بسبب الظلام وراحت صوب فمك أنت. أتعتقد يا سيدي أنني أبله حتى

Twitter: @ketab_n

أطعمك أنت، فالحريّ بي إطعام نفسي». ومنذ تلك الليلة حرص السيد دوماً على إشعال شمعة في أثناء العشاء، لاسيما في وجود توم.

وكانت هناك فتاة خادمة في المنزل، وعند قيامها بترتيب الأسرة كانت تترك سرير توم مهملاً. فقال توم: «حسناً يكفيني العمل الشاق طوال النهار، فلا يتعين عليّ القيام بهذا أيضاً». في اليوم التالي عندما كان توم يحرث الأر ض، رأى سيده قادماً باتجاهه فترك المحراث ومضى نحو سيده الذي صاح قائلاً: «ماذا بك؟ ما المشكلة؟»، فأجابه توم:«عليّ أن اذهب لأرتب سريري إذ أنه من دون ترتيب منذ أسبوعين، والآن حان الوقت حتى تأتي الخادمة وتحرث الأرض، حتى أذهب وأقوم بما عليّ القيام به». فقال له سيده: «لا، لا، عد إلى الحراثة، وسوف آمر بترتيب سريرك كل ليلة». فكان توم هوالرابح في نهاية المطاف.

Twitter: @ketab_n

٥.

ذات يوم اشترى جزار عجلاً سميناً من المزرعة التي يعمل فيها توم. وعندما ذهب الجزار، قال توم لسيده: «على ماذا تراهن لو سرقت ذلك العجل وأعدته لك، قبل أن يبعد الجزار مسافة الميلين من هنا؟»، أجابه سيده: «أراهن بجنيه أنك لن تتمكن من فعل ذلك». فرد توم: «اتفقنا إذن». فقصد توم البيت وأخذ فردة من حذاء ثمين لسيده، ثم سلك طريقاً آخر عبر الحقل، وتمكن من الوصول قبل الجزار إلى منعطف في الطريق فيه سياج مفتوح، فرمى فردة الحذاء تلك في منتصف الطريق، بالقرب من السياج، وهكذا لما وصل الجزار راكباً فرسه، حاملاً العجل أمامه، حدّث نفسه قائلاً: «يا له من حذاء رائع! لو لولا خشيتي من أن يفرّ العجل لأخذت هذا الحذاء، ولكن ما قيمة فردة حذاء واحدة ولو كانت جيدة؟»، ثم واصل طريقه تاركاً فردة الحذاء. فتسلل توم وحملها مجدداً، ثم ركض ليصل إلى فتحة أخرى في السياج تبعد زهاء نصف ميل، ثم عاود رمي فردة الحذاء في وسط الطريق.

Twitter: @ketab_n

وبعد قليل صل الجزار، ورأى الحذاء، فقال في نفسه،: «الآن يمكنني امتلاك حذاء جيد ينفعني في ركوب الخيل». فترجّل عن حصانه ووضع العجل مربوط القوائم أرضاً، وربط حصانه في السياج، ثم عاد يركض لجلب الفردة الأولى، وفي هذه الأثناء استولى توم على العجل وفردة الحذاء، ثم عاد إلى البيت مطالباً سيده بقيمة الرهان. ولم يستطع الرجل أن يرفض فقد ربح توم عن جدارة واستحقاق.

لم يجد الجزار المسكين الحذاء، فعاد إلى حصانه ليجد العجل مفقوداً، فلم يعرف كيف يتصرف وماذا يفعل. وظن أن العجل فك الحبل من حول قوائمه ثم فر في اتجاه الحقول. وهكذا قضى يومه يبحث عن العجل حول السياج وبين الأخاديد، ثم عاد في آخر النهار إلى بيت سيد توم، ناوياً أن يواصل بحثه من جديد في اليوم التالي، معتقداً أن جنياً مر بالطريق فأخذ العجل والحذاء معاً، بل وشعر ببعض الامتنان لأنه ترك له حصانه العجوز حتى يعود به إلى البيت.

وفي صباح اليوم التالي بدا توم منهمكاً في العمل، وقام بطلاء وجه العجل بالطبشور والماء. ثم أخرجه وباعه للجزار. وقد وجد السيد وغيره من العمال وهم يشاهدون الجزار يشترى

Twitter: @ketab_n

العجل مرة أخرى، فرصة جيدة للتسلية. وما إن ذهب الجزار بعجله، حتى قال توم: «على ماذا تراهن بأنني أستطيع سرقة العجل منه قبل أن يبعد مسافة ميلين؟»، أجابه سيده: «لن أتراهن معك بعد الآن، ولكنني سأعطيك شلناً واحداً إن استطعت فعل ذلك». قال توم: «اتفقنا، وأنا لن أطالبك بأكثر من ذلك».

ثم انطلق بسرعة البرق يركض في الحقول حتى وصل إلى الموضع نفسه الذي سرق منه العجل في اليوم السابق، فجثم خلف السياج، وما إن اقترب الجزّار حتى وضع توم يده على فمه وبدأ يردد: «بااء، بااء»، محاكياً ثغاء العجل.

عندما سمع الجزّار ذلك لم يراوده شكّ بأن هذا ليس سوى العجل الذي فقده في اليوم السابق. فترجل عن الحصان، وألقى العجل أرضاً، وتوجه بسرعة البرق نحو السياج، وهو لا يفكر في شيء سوى استرجاع ذلك العجل. ولكن ما إن قفز إلى طرف من السياج، حتى قفز توم إلى الطرف الآخر، وحمل العجل على ظهره ثم اتجه إلى المزرعة حاملاً العجل على ظهره، في حين أهدر الجزار المسكين وقته وجهده سدى في البحث، متنقلاً من سياج إلى آخر ومن أخدود إلى آخر، سعياً وراء العجل. وعندما عاد إلى حصانه مرة أخرى وجد

Twitter: @ketab_n

العجل الآخر مفقوداً، فاعتقد أنه لابد من وجود أرواح خفية في تلك البقعة من الارض تقوم بفعل ذلك. فتوجه إلى بيته يتحسر على فقدانه للعجل.

وعندما وصل توم إلى المزرعة غسل وجه العجل المسروق، وأرسل سيده رسالة مع أحدهم إلى الجزار يطلب منه أن يأتي لشراء عجل آخر. وهذا ما فعله الجزار بعد بضعة أيام، فقام توم ببيعه العجل نفسه للمرة الثالثة، ثم حكى له القصة بأكملها، وأرجعوا له أمواله. وهكذا وجد الجزار بعض المرح والتسلية بعد ما لقيه من عناء.

Twitter: @ketab_n

نوادر مهرج البلاط السيد جورج بوكانن

ا.

كان السيد جورج بوكانن اسكتلندي النشأة، وكان متقدماً جداً في تحصيله العلمي على الرغم من انتمائه إلى أسرة متوسطة بسيطة. وكان يبزّ جميع مجايليه في الذكاء والنباهة وسرعة البديهة. صحيح أنه كان معلماً لملك إنجلترا «جيمس السادس»، بل أحد مستشاريه المقرّبين، إلا أنه في عيون الآخرين لم يكن إلا مهرج البلاط.

وحدث ذات مرة أن كان جورج بمعية أحد الأساقفة، وتجادلا حول مسألة التعليم، فتمكن من إفحام الأسقف بحكمته وأحرجه أشد الإحراج. وحينئذ توجه أحد الحاضرين إلى جورج قائلاً: «ما كان يجدر بك مغادرة بلدك اسكتلندا»، فسأله جورج: «ولماذا؟»، فقال الرجل: «لأنك أخذت معك كل الحكمة الموجودة في اسكتلندا».

رد عليه جورج: «لا... الأمر ليس كذلك، إن رعاة اسكتلندا بوسعهم أن يهزموا أي أسقف من أساقفة لندن، بل وتجدهم

Twitter: @ketab_n

يفوقونهم من حيث المعرفة والثقافة». عندئذ شعر الأساقفة بالإهانة والاستياء، خاصة أن بعض الحاضرين أكد صحة كلام جورج. جرى الاتفاق أخيراً على إرسال ثلاثة من الأساقفة إلى اسكتلندا لمبارزة الرعاة. وذهب عدد من المرافقين مع الأساقفة ليكونوا شهوداً على ما سيحدث.

وما إن علم جورج بالطريق التي سار منها الأساقفة حتى توجه على الفور نحو اسكتلندا سالكاً طريقاً أخرى لكي يصل قبلهم. وعند الحدود التقى أحد الرعاة الذي يملك حقولاً على جانب الطريق التي يتعين على الأساقفة المرور بها. أسرع جورج بارتداء لباس الراعي، وما إنا لمح موكب الأساقفة حتى نقل القطيع إلى جانب الطريق، وسار يردد أغنية ريفية.

عندما اقترب الأساقفة من جورج، سأله أحدهم باللغة الفرنسية عن الساعة، فرد باللغة العبرية قائلا لهم: «الساعة الآن هي بالضبط الساعة التي كانت في مثل هذا الوقت من يوم أمس». وسأله آخر باللغة اليونانية عن البلد الذي ينتمي إليه، فأجابه باللغة الفلمنكية قائلاً: «لو كنتم تعلمون اسم بلدي لكنتم حكماء مثلي». وسأله الثالث باللغة الهولندية قائلاً له: «وأين تلقيت تعليمك؟»، فأجابه بإحدى اللغات السلتية قائلاً: «خلال سوقي هذا القطيع بين هنا ولوخابر».

Twitter: @ketab_n

وطلبوا منه شرح ذلك باللغة الانجليزية، وهو ما قام به على الفور. فقالوا لبعضهم بعضاً: «والآن نحن لم نعد بحاجة إلى المزيد من الأدلة». وعادوا أدراجهم مجللين بالخجل والإحراج، معبّرين عن قناعتهم بأن الاسكتلنديين يفوقون أمم العالم في مستوى تعليمهم، أو أن الشيطان يلقنهم ما يقولون. والآن وبعدما انتهى جورج من مبارزته مع الأساقفة، خلع ملابس الراعي، ثم انطلق عائداً إلى إنجلترا بسرعة البرق حتى تمكن من الوصول إلى الساحة التي كان قد اجتمع فيها القضاة قبل ثلاثة أيام. فراح يسأل القضاة كل يوم عن وصول الأساقفة، وذلك حتى ينأى بنفسه عن الشكوك.

وبمجرد وصول الأساقفة من اسكتلندا، تجمع حولهم كل من كان معنياً بالمبارزة كما تجمهر الناس لسماع ما جلبه الأساقفة من أنباء حول الرعاة الاسكتلنديين، ومعرفة ماذا حدث. وما إن أعلن الأساقفة عما دار من حديث بينهم وبين الراعي الاسكتلندي الذي لقوه على الحدود الاسكتلندية، حتى نطق من بينهم كبيرهم في السن قائلاً: «وهل تعتقدون أن ذاك الراعي كان باستطاعته الإجابة عن تلك الأسئلة لو لم يكن يلقنه أحد الشياطين ما يقول؟ بل إن الوزراء الاسكتلنديون أنفسهم ليس

Twitter: @ketab_n

بإمكانهم أن يجيبوا عن تلك الأسئلة. فهم لا يفقهون شيئاً في مثل هذه الأمور، وما هم سوى زمرة من الجهلة الأغرار الذين لم تنبت لحاهم بعد».

وهنا شعر جورج بضرورة التدخّل، وقال: «حسناً يا سيدي الأسقف، بإمكانك أن تصفهم كما تشاء وتقول إنهم زمرة من الأغرار الجهلة، لكن انظر إلى نفسك، فأنت تملك لحية طويلة كثيفة، ومع ذلك تفتقر إلى الحكمة تماماً. فقال له الأسقف متحدياً: «أأنت اسكتلندي؟»، أجابه جورج: «نعم، أنا اسكتلندي». فقال الأسقف: «جيد، هل لك أن تخبرني ما هو الفرق بين الاسكتلندي والأحمق؟»، رد عليه جورج قائلاً: «لا فرق في الوقت الحاضر سوى هذه الطاولة». وكانت هناك طاولة تفصل بين جورج والأسقف. فثارت ثائرة الأسقف وانتفض مغادراً المكان الذي ضج بقهقهات الحشد وضحكاتهم.

Twitter: @ketab_n

٢.

ذات ليلة، وجد أحد الرعاة الاسكتلنديين نفسه في جلسة سمر مع قبطان إنجليزي. وكانوا يشربون حتى قضوا من الخمر وطراً فنادوا خدامهم ليتناولوا نصيبهم من الخمور. كان خادم الراعي يبدو غريباً متوحشاً، يمشي عاري الساقين دون أن يرتدي أي سروال أو جوارب أو حتى حذاء. سأل القبطان الراعي منذ متى حصل عليه، فأجابه الراعي: «لقد سحبته بشبكتي من البحر منذ زهاء سنتين، ثم فر بعد ذلك إلى الجبال حيث ألقيت عليه القبض بواسطة كلاب الصيد». فصدق القبطان كلام الراعي، ثم قال: «أما أنا فلديّ خادم يعد أفضل سباح في العالم». فرد عليه الراعي: «أووه، ولكن خادمي قادر على سحق خادمك في السباحة إن تسابقا معاً». قال القبطان متحديا: «لا، لن يستطيع ذلك، وأراهن على ذلك بمئتي كرونة».

وافق الراعي على الرهان في الحال قائلاً: «هذا اتفاق بيننا إذن»، وحُدّد على الفور يوم السباق. ولكن بعد ذلك، وعندما

Twitter: @ketab_n

جلس الراعي يفكر في المسألة، ويتمعن في أمر الرهان مع القبطان، حار في أمره، ولم يعرف ما العمل، فقد كان يعلم جيداً أن خادمه لا يجيد السباحة. وكان يسمع كثيراً عن جورج مهرّج البلاط وحبه للاسكتلنديين، فالتجأ إليه وحكى له قضة الرهان مع القبطان، وشرح له كيف أن ذلك الأمر سيؤدي إلى إفلاسه كلياً وسيجعله عاجزاً على العودة إلى بلاده. انزوى جورج بالراعي وخادمه وراح يلقنهما حيلة لن تنجيهما من الخسارة فحسب، بل ستكسبهما الرهان أيضاً.

وبناء على ذلك، ذهب الاثنان في الموعد المحدد لمكان السباق. تجرّد خادم القبطان من ملابسه، وقفز في البحر مباشرة للقيام ببعض التحمية في انتظار خادم الراعي. وبعدما جرد الخادم نفسه من الثياب، التفت إلى سيده وصاح سائلاً عن سيفه. وصاح خادم القبطان متسائلاً: «ترى ماذا ينتظر الآن؟»، فأجابه سيده: «إنه يريد سيفه». سأله خادم القبطان مستغرباً: «سيفه! وما حاجته إلى سيفه؟»، فأجابه السيد: «حسناً، وماذا لو صادف أحد الحيتان أو وحشاً كاسراً في البحر؟ يريد أن يحمل معه سيفه لكي يحمي نفسه من الموت، فكما تعلم سيكون عليه أن يصارع في طريقه نحو شمال البحر لينجو بنفسه قبل أن يصل إلى لوخابر».

Twitter: @ketab_n

وهنا صاح خادم القبطان قائلاً: «إذن لن أنزل معه إلى البحر ما دام سيحمل سيفه». فرد عليه السيد: «ولكن عليك أن تفعل ذلك وإلا خسرت وسيدك الرهان، فلتأخذ معك سيفك أنت أيضاً». أجابه الخادم: «لا، أنا لم أسبح قط بالسيف، ولم أر أو أسمع في حياتي عن شخص فعل ذلك من قبل. أعرف جيداً أن هذا الرجل المتوحش لا ينوي سوى قتلي في عمق البحر بهذا السيف. ولتعلموا بأن ليس في الدنيا كلها ما يجعلني أغامر بحياتي مع هذا الشخص الذي يسبح بسيفه. وعندما رأى القبطان خادمه مذعوراً من الإقدام على مغامرة قد لا يراه حياً بعدها، عبر عن رغبته في الوصول إلى تسوية مع الراعي الذي تظاهر بعدم رغبته في ذلك في أول الأمر، لكن القبطان قرر أن يتحمل الخسارة ليغادر الراعي بنصف مبلغ الرهان. وهذا ما خلص إليه بفضل مشورة جورج.

Twitter: @ketab_n

٣.

ذات يوم تناول رجل اسكتلندي فقير الطعام الذي كان عبارة عن البيض في مطعم بمدينة لندن. وبما أنه لم يكن يملك المال لدفع ثمن العشاء، فقد استدان المبلغ من صاحب المطعم، ووعده بأن يرجعه له مستقبلاً. ثم أصاب هذا الرجل النجاح في التجارة وتمكن من جمع ثروة هائلة. وبعد بضع سنوات، وجد الرجل نفسه ماراً أمام المطعم الذي يدين له بعشاء البيض، فدخل وسأل الرجل عن المبلغ الذي يدين له به.

وحين لاحظ صاحب المطعم أن الرجل صار غنياً، أعطاه فاتورة بمبلغ كبير جداً، معللاً ارتفاع قيمة الفاتورة بأن البيضات التي تناولها ذاك الرجل منذ زمن بعيد كان يمكن أن تفرخ وتصير دجاجات، والدجاجات بدورها كانت ستفرخ المزيد من البيض وهكذا دواليك، وراح يجمع ويضرب ثمن البيض والدجاجات، ليبرهن أن قيمتها تضاعفت لتصل إلى مجموع المبلغ الباهظ المثبت في الفاتورة. لكن الرجل رفض دفع المبلغ، فرفعت ضده دعوى قضائية.

Twitter: @ketab_n

ثم أخبر الرجل جورج، ابن بلده الشهير بقضيته، الذي وعده بأن يحضر المحاكمة. وبالفعل وصل جورج ساعة المحاكمة وهو يتصبب عرقاً من جراء حمله لسلة مملوءة بالبازلاء المسلوقة. تفاجأ القضاة وطلبوا منه شرح الأمر وماذا كان يريد بالبازلاء المسلوقة التي يحملها. فأجاب جورج: «سوف أقوم بزراعتها» فسأله القاضي: «ومتى ستنمو؟»، ورد جورج قائلاً: «ستنموعندما يفرخ البيض دجاجاً». كان هذا الرد كافياً لإقناع القاضي بجشع صاحب المطعم، وأخلي سبيل الرجل الاسكتلندي مقابل بنسين ونصف البنس، وهو ثمن البيض الحقيقي.

Twitter: @ketab_n

٤.

ذات يوم تشاجر رجلان في أحد شوارع لندن، واشتد العراك بينهما مما أدى إلى تجمع حشد كبير من الناس حولهما. وكان خياط منهمكاً في عمله داخل دكان في الطابق الثالث أو الرابع من البناية، وحين سمع الجلبة أطل من نافذة الدكان لمعرفة ما يجري في الشارع، ولم يتمكن من الرؤية بشكل جيد، فبدأ يمدّ رأسه أكثر فأكثر إلى الأسفل حتى سقط من النافذة، فوقع على رجل مسنّ تصادف مروره من هناك. ولم يشعر ذلك الخياط المسكين بالألم قدر شعوره بالخوف مما حصل، إلا أن الرجل الذي وقع عليه مات في الحال.

طالب ابن الضحية بإلقاء القبض على الخياط بتهمة قتل والده، غير أن هيئة التحكيم لم تستطع إثبات تهمة القتل العمد على المتهم، كما لم تتمكن من تبرئته من التهمة بشكل تام. وهكذا قررت الهيئة إيصال القضية إلى القضاة الذين حولوها بدورهم إلى الملك، الذي استشار جورج بشأن هذه القضية المعقدة، فقال جورج: «حسناً، سأعطيك رأيي في دقيقة واحدة، ما عليك إلا

Twitter: @ketab_n

أن تدعو الخياط للوقوف في الشارع الذي كان يمشي فيه ذاك الرجل المسنّ عندما وقع عليه وقتله، وتجعل الابن الخصم يصعد إلى النافذة ذاتها التي وقع منها الخياط، ثم يقفز منها فوقه ليقتله كما قتل أباه. وما إن سمع الابن الخصم بهذا الحكم حتى أبدى رفضه للمغامرة بالقفز من النافذة، فبرئ الخياط فوراً.

Twitter: @ketab_n

المعارف العامة
الفلسفة وعلم النفس
الديانات
العلوم الاجتماعية
اللغات
العلوم الطبيعية والدقيقة / التطبيقية
الفنون والألعاب الرياضية
الأدب
التاريخ والجغرافيا وكتب السيرة

ISBN 978-9948-01-349-5

كلمة
KALIMA

أبوظبي للثقافة والتراث
ABU DHABI CULTURE & HERITAGE